النقـــد الذاتي للتصـــــوف
لـدى الصوفيــة

إعداد
عبد الحافظ أحمد طه محمد
المدرس في قسم الأديان والمذاهب
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
جامعـة الأزهــر

ملخص البحث:
بين هذا البحث أن التصوف من المعضلات الكبرى التي شكلت علامة استفهام واضحة في تاريخ الإسلام والمسلمين، إلا أنه بات من المعلوم داخل الأوساط العلمية الجادة، وفي إطار المنهجية البحثية المستقيمة، أن علم التصوف (بمعناه الأخلاقي والسلوكي): جليل في ذاته، عظيم في أصله، دقيق في فروعه، وكان الرواد الأوائل له، والشيوخ السابقون فيه، علي عقيدة صافية، وإيمان عميق، وسلوك نقي، لا تشوبه شائبة، ولكن بمرور الزمن، وتقادم الأيام، انحرفت فئات من المتصوفة عن جادة الطريق، وزينت لهم شياطين الإنس والجن ما لم ينزل الله ـ تعالي ـ به من سلطان ، سواء من بدع في الأقوال والأعمال، أو من تورط في مخالفات وشذوذات، وما كانت هذه ـ أو تلك ـ من لوازم التصوف، غير أنه كان لها السبب الأكبر في تشويه صورته، وأن دخل فيه ما يعقده، ويخرجه عن نقائه وبهائه .
وقد قيض الله ﷻمن الصوفية، رجالاً أكفاء، علماء بأصول الدين، ذوي بصر ودقة، غيورين علي التصوف الصحيح أن تضيع معالمه، وتلوح قوائمه، فكان لهم إرشادات سامية، وإشعاعات مضيئة، وجهود لا تغمط، في الإنكار علي الخارجين عن سنن التصوف الصحيح، الذي هو في بوتقة الكتاب والسنة، فكم وقفوا ضدهم، وكم حاربوهم، وكم شددوا في النكير عليهم، وكم رصدوا أخطاءهم، وكم فضحوا مسالكهم وبينوها للناس، بل وحكموا بكفر بعضهم أحياناً ؟؟؟ !! .
وقد جاء ت هذه الدراسة فى: مبحثين وتسع مطالب وهى كالتالى <u>المبحث الأول</u>: النقد الذاتي للتصوف تاريخاً وفيه: تعريف النقد الذاتي للتصوف وبيان دلالته ـ ومكانة التصوف لدي الصوفية ـ وتاريخ النقد الذاتي للتصوف عبر القرون ـ والنقد الذاتي للتصوف في العصر الحديث .
المبحث الثاني: النقد الذاتي للتصوف نموذجاً <u>(عقيدة الحلول)</u> وفيه: تعريف الحلول والاتحاد والفرق بينهما . والحلولية من الصوفية ـ والحسين بن منصور الحلاج .وموقف شيوخ بغداد النقدي من فكر الحلاج .
و نقد عقيدة الحلول في فكر أئمة التصوف.
ثم ذيل البحث بخاتمة، جاء فيها:
أن ناقدي التصوف – من أهله – وإن كانوا أقلة إلا أنهم متنوعون عصراً ومصراً وطريقة وفكراً وعلماً وعملاً وسلوكاً، ولكن جمعهم حب التصوف والغيرة عليه، والمعذرة إلي الله يوم القيامة
يلزم العقلاء من الناس ألا يحكموا علي الصوفية بحكم واحد، إيجاباً أو سلباً، مدحاً أو قدحاً، حباً أو ذماً
أن شيوخ التصوف الكبار، كانوا علي عقيدة سليمة وعبادة صحيحة بشهادة كبار العلماء.
الكلمات الدالة:
النقد-الذات-التصوف-الصوفية

ﷺ

مقدمـــة

الحمد لله، أحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، يملأ أرجاء السموات والأرضين، دائماً أبد الآبدين إلي يوم الدين، في كل ساعة وآن ووقت وحين، كما ينبغي لجلاله العظيم، وسلطانه القديم، ووجهه الكريم، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا صاحبة له ولا نظير ولا وزير له، ولا مشير ولا نديد ولا قسيم له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، صاحب المقام المحمود الذي يرغب إليه الخلق كلهم يوم القيامة، حتى الخليل إبراهيم – عليه السلام- اللهم صل وسلم تسليماً كثيراً عليه وعلي سائر إخوانه من النبيين والمرسلين، وارض عن جميع أصحابه الغر الكرام، السادة النجباء، خلاصة العالم بعد الأنبياء، ما اختلط الظلام بالضياء، وأعلن الداعي بالنداء، وارض اللهم عن جميع أتباعه،وعلي كل من اهتدي بهديه،واستن بسنته،واقتفي أثره إلي يوم الدين..... وبعد ،،،
فإن التصوف من المعضلات الكبرى التي شكلت علامة استفهام واضحة في تاريخ الإسلام والمسلمين، إلا أنه بات من المعلوم داخل الأوساط العلمية الجادة، وفي إطار المنهجية البحثية المستقيمة، أن علم التصوف (بمعناه الأخلاقي والسلوكي): جليل في ذاته، عظيم في أصله، دقيق في فروعه، وكان الرواد الأوائل له، والشيوخ السابقون فيه، علي عقيدة صافية، وإيمان عميق، وسلوك نقي، لا تشوبه شائبة، ولكن بمرور الزمن، وتقادم الأيام، انحرفت فئات من المتصوفة عن جادة الطريق، وزينت لهم شياطين الإنس والجن ما لم ينزل الله ـ تعالي ـ به من سلطان ، سواء من بدع في الأقوال والأعمال، أو من تورط في مخالفات وشذوذات، وما كانت هذه ـ أو تلك ـ من لوازم التصوف، غير أنه كان لها السبب الأكبر في تشويه صورته، وأن دخل فيه ما يعقده، ويخرجه عن نقائه وبهائه .
وقد قيض الله ﷻمن الصوفية، رجالاً أكفاء، علماء بأصول الدين، ذوي بصر ودقة، غيورين علي التصوف الصحيح أن تضيع معالمه، وتلوح قوائمه، فكان لهم إرشادات سامية، وإشعاعات مضيئة، وجهود لا تغمط، في الإنكار علي الخارجين عن سنن التصوف الصحيح، الذي هو في بوتقة الكتاب والسنة، فكم وقفوا ضدهم، وكم حاربوهم، وكم شددوا في النكير عليهم، وكم رصدوا أخطاءهم، وكم فضحوا مسالكهم وبينوها للناس، بل وحكموا بكفر بعضهم أحياناً ؟؟؟ !! .
وإنها ـ بحق ـ معالجات تستحق الوقوف عندها، والتأمل الجاد في رصدها، إذ بها يستنير جميع من أراد التعرف علي معالم طريق التصوف الصحيح، ولم لا وروادها لهم القدح المعلي في فهم الحق علي وجهه، وفي السلوك الحق علي وجهه، حتى صاروا من الذين يصفهم الله ـ تعالي ـ بقولــه: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﮊ (سورة العصر، الآيات ١ ،٢ ،٣ .

إنهم قاموا بواجب النصيحة في نشر التصوف الصحيح، والنهي عن البدع باسم التصوف ، والتحذير من غوائلها،واستجابوا في ذلك لأمر النبي ﷺ في قوله:﴿من رأي منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه،فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان﴾[١]،فأقاموا الحجة،وأبانوا المحجة، ووضحوا الفرقان بين الحق والباطل، بين الصوفي والدعي، بين المتصوف ، والمتمصوف أو المستصوف .
فلله در أولئك المصلحين الذين تفانوا في أداء واجبهم، وعرفوا قيمة الأعباء الملقاة علي عواتقهم، فصنعوا تاريخهم بأيديهم، وكتبوا صفحات مجدهم بمداد الفخار علي صفحات من النور في سجل الخالدين ليقرأها الزمن، ولترددها الأجيال، ولتنعم الإنسانية بثمارها إلي يوم الدين .
وإنها لعمري دعوة إلي ثلاثة أمور: -
أولاً: أن ينظر أصحاب التصوف في عصرنا ومحبيه والمائلين بقلوبهم إليه والمدافعين عنه جميعه في أحوالهم، ويدققوا في أفعالهم ، وفي صورة التصوف الماثلة أمام أعينهم، هل هو ذلكم التصوف الذي ضبطه الشيوخ الكبار بالكتاب والسنة ، ونبهوا علي أن من خرج عنهما ليس بصوفي؟!، وسبيلهم في ذلك التعرف علي مزيد من الشيوخ نقدوا أوضاعاً، من التصوف وهم من أهله، بل من صفوتهم وخيرتهم، ألا فليعلموا أن الزعامة والإمامة ليس معناها بطن تملأ وتتخم، وأموال تكدس وتدخر، وألقاب ترن وتطن، بل تعني أن يعيشوا لغيرهم لا لأنفسهم، وأن يعملوا لأمتهم لا لأولادهم .
ثانياً: وفي نفس الوقت دعوة إلي أن ينظر كل ناقد للتصوف إلي تلك الأوجه من النقد، وستقوده إلي أن هناك في التصوف أموراً وأذواقاً ومشارب ما ارتضاها بعض الشيوخ أنفسهم، والنتيجة الحاصلة من ذلك هي كمال العلم بقول الله ﮋﮤﮥﮦ ﮊ (سورة آل عمران،الآية:١١٣)، وبالتالي سيجتنب إشكالية التعميم في الأحكام، الذي تعج به الأوساط العلمية في عصرنا ، دونما النظر في كل حالة علي حدة، ووضع الدليل في مناطه، وهذه المنهجية الخاطئة ، مع كونها تصادم الشرع الحنيف، تصادم أيضاً قيم التعامل الإنساني السليم، قال ☎ﷻ ﮋ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ

---

[١] صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ١/ ٦٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي .

(سورة المائدة،آية:٨)،فما جاء التعصب إلا من الجهل العلمي، والضيق الفكري وسوء الفهم عن الله ورسوله ﷺ، فأين القسط الذي أنزل الله له الكتاب والميزان ؟!! .

ثالثاً: ودعوة أن تنظر كل جماعة أو أصحاب اتجاه معين، بين الفينة والفينة، إلي أصول مذهبهم، وتطبيقات أفرادهم لها، فيقيمون ذواتهم بأنفسهم، إذ أن إصرار كل جماعة من الجماعات علي سلبياتها هو الذي يفاقم الأوضاع، ويقود الأمة إلي التفرق والتشرذم، أما إذا كان هناك سعي من أجل الإصلاح، فهذا بلا شك يساعد علي تقريب الهوة بين الجماعات .

ألا فلتنظر كل جماعة في سلبياتها، ألا فليعيد كل منا النظر في طبيعة علاقته بالآخرين، ألا فلنعمل جميعاً علي الإصلاح والتوجيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى يحصد ثماره المباركة عالمنا العربي والإسلامي، ويومئذ يأتي النصر، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

ومن أجل ذلك كله استخرت الله ﷻ أن أكتب هذه الوريقات .

وقد جاءت – بعد توفيق الله ﷻ، في مقدمة ومبحثين تحت كل منهما مطالبه الخاصة به وخاتمة، وذلك علي النحو التالي :-

المبحث الأول: النقد الذاتي للتصوف تاريخاً وفيه المطالب الآتية :-

المطلب الأول: تعريف النقد الذاتي للتصوف وبيان دلالته .

المطلب الثاني: مكانة التصوف لدي الصوفية .

المطلب الثالث: تاريخ النقد الذاتي للتصوف عبر القرون .

المطلب الرابع: النقد الذاتي للتصوف في العصر الحديث .

المبحث الثاني: النقد الذاتي للتصوف نموذجاً

(عقيدة الحلول)

وفيه المطالب الآتية :-

المطلب الأول: تعريف الحلول والاتحاد والفرق بينهما .

المطلب الثاني: الحلولية من الصوفية .

المطلب الثالث: الحسين بن منصور الحلاج .

المطلب الرابع: موقف شيوخ بغداد النقدي من فكر الحلاج .

المطلب الخامس: نقد عقيدة الحلول في فكر أئمة التصوف، ثم ذيلت البحث بخاتمة، تضمنت نتائج البحث ووصاياه، وأردفتها ببيان المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها،

. ثم فهرساً ودليلاً لعناصر البحث .

والله ـ سبحانه وتعالي ـ أضرع إليه:

اللهم ارزقنا نوراً نمشي به في الظلمات، وهب لنا فرقاناً نميز به بين المتشابهات، واغفر لنا يا ربنا ما زل به القلم أو الفكر، ولا تكلنا إلي أنفسنا طرفة عين، آمين يا رب العالمين.

وصلي الله وسلم وبارك علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين،،،

وكتبه العبد الفقير إلي عفو مولاه/ عبد الحافظ أحمد طه محمد .

المبحث الأول : النقد الذاتي للتصوف تاريخاً

الحديث عن تاريخ النقد الذاتي للتصوف ، يدفعنا إلي التساؤل عن معني النقد الذاتي للتصوف أولاً، وما دلالاته؟ وما قيمة ومكانة التصوف في قلوب الناقدين، ومتي بدأ تحديداً نقد الظاهرة الصوفية؟ ومن رواد النقد علي مر العصور والأزمنة، وهل خلا العصر الحديث من نماذج منهم؟ ذلك ما أريد بيانه في هذا المبحث علي النحو التالي :

المطلب الأول: تعريف النقد الذاتي للتصوف ودلالته

النقد لغة: لو رجعنا إلي معاجم اللغة سنجد أن كلمة " نقد" تعني: تمييز الخالص من الأشياء، وإخراج الزيف منها، فمعني نقد الدرهم مثلاً " أن يكشف عن حاله في جودته أو غير ذلك، ونقد الدينار نقداً: نقره ليختبر جودته " [1]، أما كلمة" الذاتي" ، فإن ذات الشئ وعينه: نفسه، وذات الشئ أيضاً: حقيقته وخاصته، ويقال: جاء فلان بذاته: عينه ونفسه، ويقال في الأدب: نقد ذاتي :نقد يرجع إلي آراء الشخص وانفعالاته [2]، فبإضافة الكلمتين بعضهما إلي بعض، يصبح المعنى:التأمل الشخصي، أو التأمل النفسي، أو تأمل الشخص في مكونات نفسه، أو تأمل الذات في نفسها، أو كشف المرء عن حالته بنفسه ، وإجراء فحوصات عليها .

وقولنا: النقد الذاتي للتصوف، نعنى به: التأمل –من قبل الصوفية- فيما تضمنه التصوف من صفات إيجابية وسلبية، بغية تنمية الإيجابي والتخلص من السلبي .

ونعني به كذلك: نقد الظواهر المرضية المتفشية في التصوف، التي تتعارض مع أصول الدين وقواعد التصوف بواسطة شيوخ التصوف أنفسهم، فهي محاولات جادة من شيوخ القوم أن يرصدوا أخطاء الغالطين منهم، ليحذر منها السالكون ، ويعلنوا – للناس جميعاً- براءتهم من تلك الأخطاء، وتنزه التصوف الصحيح من هذه الأغلاط والنقوصات، بسب خروجها عن آداب الدين ، وإنه – لا غير ضابط النقد عندهم .

---

(١) انظر محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب ٣/ ٤٢٥، مادة نقد ، دار صادر بيروت، ط١ ، د.ت، وانظر نفس المادة عند أبي الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة ٥/ ٤٦٧، دار الجيل – بيروت – لبنان، ط٢ سنة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، تحقيق/ عبد السلام هارون، وكذلك عند أبي القاسم علي بن جعفر السعداوي، الأفعال ٣/ ٢٥٨، عالم الكتب – بيروت، ط١ سنة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

(٢) انظر . مجمع اللغة العربية . المعجم الوجيز، ص ٢٤٢، مادة ذات، ص ٦٢٧ مادة نفس، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم بجمهورية مصر العربية – سنة ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .

دلالة النقد الذاتي للتصوف من شيوخه :-

ما قام به نقاد التصوف من جهد في سبيل إصلاح التصوف، يحمل في طياته ـ في نظري ـ عدة دلالات، هي علي النحو التالي :-

١- إنه مؤشر للنضج، أي نضوج الفكرة، ووضوح الرؤية لدي الناقدين عن التصوف، ووعيهم الكامل بصحيح التصوف ودخيله، بغثه وثمينه، وبالصوفي الحقيقي، والمتمصوف الزائف، بالأصلاء والدخلاء والأدعياء .

٢- إنه أمضي سلاح في يد شيوخ التصوف الذين قاموا بنقد التصوف، يقوون به من حركتهم، ويرفعون من قدراتها، ويعمقون جذورها القرآنية والنبوية، وإنهم يؤكدون بذلك علي صحة وسلامة التصوف، وحمايته من كل محاولة مقصودة أو غير مقصودة تستهدف تشويه صورته .

٣- عدم غرور أو إعجاب هؤلاء الناقدين بالتصوف جملة، وبالمنتسبين إلي طريقتهم جميعاً ورؤيتهم الوجه الإيجابي لهم أوله فحسب، وإلا ما اعترفوا بأخطاء بعضهم .

٤- الشجاعة الأدبية لدي الناقدين، وعدم خوفهم من استطالة ألسنة الناس عليهم بتوجيه سهام الاتهام لهم .

٥- إنها محاولات منهم لتحسين صورة التصوف، واكتساب ثقة الآخرين به .

٦- هو أحد السبل لدينا لتشخيص الوجه الحقيقي للتصوف، ومعرفة ما فيه من سلبيات وإيجابيات .

٧- حتى نتعرف أن كل من يجتهد يخطئ ويصيب ، وكل من يجري يكبو ويعثر، ولكل جواد كبوة ، وكلا يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم صلي الله عليه وسلم ، فالعصمة دفنت بموته ﷺ .

تلك بعض الدلالات التي حاولت ـ قدر استطاعتي ـ استنباطها واستنتاجها وراء نقد الناقدين للتصوف وهم من أهله ، ولا يذهبن بك الوهم أن ذلك دال علي استخفافهم بالتصوف كعلم، وزهدهم فيه، بل هو ملأ أسماعهم وأبصارهم ويصور ذلك الجنيد [١]، سيد الطائفة في القرن الثالث الهجري ـ فيقول: (لو علمت أن تحت أديم السماء علما أجل من علمنا لقصدته وسعيت إليه) [٢]، وبشيء من الإيجاز أعرض لهذه الفكرة الهامة فيما يلي :-

---

(١) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد، سيد الطائفة وإمامهم، من أهل بغداد ومولده بها، وكان فقيها علي مذهب أبي ثور، وكان يفتي في حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة، صحب خاله السري والحارث المحاسبي مات سنة سبع وستين ومائتين وقيل ثمانية وتسعين ومائتين ، انظر الإمام أبو القاسم القشيري – الرسالة القشيرية ص ٨٦، المكتبة التوفيقية – القاهرة – تحقيق/ هاني الحاج، د. ت .

(٢) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر ١/ ١٥٢، دار صادر بيروت – لبنان ، ط٤ سنة ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م ، تحقيق د/ وداد القاضي .

المطلب الثاني

نبذة عن مكانة التصوف لدي الصوفية

كان للتصوف أنصاره والمعجبون به، ومن الطبعي أن يكون في مقدمة هؤلاء الأنصار الصوفية أنفسهم، لأن انتسابهم إلي التصوف، وتثبيتهم لدعائمه، وتوضيحهم لأسسه خير شاهد علي أنهم يجدون فيه من الفضيلة والكمال ما لا يجدون في سواه، ولأن تمسكهم به علي الرغم مما نالهم من الأذى أحياناً (١) ـ خير دليل علي اقتناعهم به وولائهم له، وحديث الصوفية عن التصوف ورجاله حديث مملوء بالإعجاب والفخر، فالتصوف عندهم ـ هو طريق موصل إلي ولاية الله ـ تعالي ـ، وهو مدرسة لتخريج الأولياء والصوفية، كما يقول السهر وردي (٢) صاحب عوارف المعارف: هم أهل القرب والاجتباء، ألبسهم الله ـ تعالي ـ ملابس العرفان، وخصهم من بين عباده بخصائص الإحسان، فصارت ضمائرهم من مواهب الأنس مملوة، ومرائي قلوبهم بنور القدس مجلوة، فتهيأت لقبول الأمداد القدسية، واستعدت لورود الأنوار العلوية... أجساد أرضية، بقلوب سماوية، وأشباح فرشية(أرضية) بأرواح عرشية، نفوسهم في منازل الخدمة سيارة، وأرواحهم في فضاء القرب طيارة، تسلوا بالصلوات عن الشهوات، وتعوضوا بحلاوة التلاوة عن اللذات، يلوح من صفحات وجوههم بشر الوجدان، وينم عن مكنون سرائرهم نضارة العرفان، طريقتهم مبنية علي الكتاب والسنة، متحققة بهما، وهم أوفر الناس حظا من متابعة النبي ﷺ وأوفرهم حظاً من محبة الله ـ تعالي (٣) .

أما " القشيري" (٤) فإنه في مقدمة" رسالته" يري أن الله ـ تعالي ـ جعل هذه الطائفة صفوة أوليائه، وفضلهم علي الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ وجعل قلوبهم معدن أسراره، واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره، صفاهم من كدورات (٥) البشرية، ووفقهم للقيام بآداب العبودية، وأشهدهم مجاري أحكام الربوبية، فقاموا بأداء ما عليهم من واجبات التكليف، ثم رجعوا إلي الله بصدق الافتقار (٦)،ونعت الانكسار (٧). ولقد انضم إلي رحاب التصوف علماء أماجد، وأئمة فضلاء، أمثال " أبي حامد الغزالي" (٨) الذي بز (٩) غيره في علوم أصول الدين، وفي العلوم العقلية والفلسفية، حتى شهد الأعداء قبل الأصدقاء بعلو قدره، وسمو منزلته، ولكنه لإثر أزمة نفسية مرت به، غيرت السيرة

---

(١) جمع الشعراني صوراً من الإيذاء والمحن التي وقعت للمتقدمين منهم والمستأخرين، انظر الطبقات الكبري ١/ ١٣ ، ١٤، ١٥، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده – د.ت، وله أيضاً اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر ١/ ١٤، مطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأخيرة، ١٣٧٨هـ – ١٩٥٩م .

(٢) هو إمام الصوفية في وقته، شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهر وردي، إليه انتهت الرياسة في تربية المريدين، والتسليك ، ودعاء الخلق إلي الله، ظهر له القبول من الخاص والعام، ت ٦٣٢هـ ، انظر شمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، مؤسسة الرسالة ط٩، سنة ١٤١٣هـ – تحقيق / شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي.

(٣) أبو حفص عمر بن محمد السهر وردي البغدادي، عوارف المعارف، الجزء الخامس من إحياء علوم الدين ص ٤٢، ٥٩، ٦٠، دار الحديث ، د.ت، وانظر د/ عبد الحميد عبد المنعم مدكور، لمحة عن التصوف عند المسلمين ص ١٣٢، ١٣٣ ، بحث بمجلة المسلم المعاصر، السنة الخامسة عشرة، العدد ٦٠، سنة ١٤١١هـ – ١٩٩١م ، إصدارات مؤسسة المسلم المعاصر والمعهد العالمي للفكر الإسلامي .

(٤) هو الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري الصوفي، شيخ خراسان، وأستاذ الجماعة، قال عنه السمعاني: كان علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والشعر والكتابة وعلم التصوف ، جمع بين الشريعة والحقيقة ت ٤٦٥هـ ، انظر ، شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٣/ ٢٠٥ – دار الثقافة، لبنان، تحقيق: إحسان عباس، د. ت .

(٥) الكدر: نقيض الصفاء، ، انظر محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب ٥/ ١٣٤ .

(٦) النعت : وصفك الشيء، انظر المصدر السابق ٩٩/٢ .

(٧) أبو القاسم عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف ص ٢٠ باختصار .

(٨) هو محمد بن محمد أبو حامد الطوسي المعروف بالغزالي، الفقيه الشافعي، كان إماماً في علم الفقه مذهباً وخلافاً، وفي أصول الديانات، وولي التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد، ثم ترك التدريس والمناظرة واشتغل بالعبادة لأحوال مرت به، له الكتب الكثيرة التي من تأملها عرف محل الرجل من فنون العلم ت ٥٠٥هـ ، انظر أبو القاسم علي بن الحسين ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٥٥/ ٢٠٠ وما بعدها، دار الفكر ـ بيروت سنة ١٩٩٥م ، تحقيق/ محب الدين بن غرامة العمري .

(٩) بزه يبزه بزاً: غلبه وغصبه ، انظر لسان العرب ٥/ ٣١٢ .

الذاتية له، ووجهته الوجهة الصوفية الجديدة، وذلك لأنه رأي أن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، بل يقول: (لو جمع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين علي أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إلي ذلك سبيلاً ، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم، مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة علي وجه الأرض نور يستضاء به) [١] .

ويري الدكتور: الحسيني أبو فرحة: أن التصوف هو أرفع درجات الإسلام، فالإسلام درجات، أعلاها الدرجة التي فيها الصوفية، فهم كمل الأمة الإسلامية [٢]، ويطول بنا الحديث، ولا يتسع المقام، لو أردنا أن نعدد منزلة التصوف، ونحصي مكانته لدي أنصاره ومحبيه والمائلين بقلوبهم إليه، ولكن مما تجدر الإشارة إليه هنا أن ثقة الصوفية بالتصوف، واعتزازهم به، وتفضيلهم له سواه ، لم تمنع شيوخ الصوفية أنفسهم من توجيه بعض النقد إلي من ينتسبون إلي التصوف، فليس كل من انتسب إلي التصوف مخلصاً، وليس كل من اجتهد فيه مصيباً، بل وجد من بينهم أصحاب الأغراض والأدعياء والمنحرفون عن مقاصد التصوف التي حددها شيوخه، وقد كان الشيوخ يتعقبون هؤلاء ويظهرون عوراتهم، ويتبرءون من أخطائهم، وقد كان ذلك من أهدافهم في تأليف الكتب في التصوف [٣] .

---

(١) أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال ص ١٢٧، دار الكتاب المصري، سنة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م– تحقيق د/ عبد الحليم محمود .

(٢) مجلة التصوف الإسلامي ص ٥٧ – العدد ١٠٦ السنة ١٨ جمادي آخر سنة ١٤١٦هـ – نوفمبر ١٩٩٥م .

(٣) د/ عبد الحميد مدكور، لمحة عن التصوف عند المسلمين ص ١٣٦ .

المطلب الثالث

تاريخ النقد الذاتي للتصوف عبر القرون

إذا كان" الطوسي" (١) هو أقدم من ألف في تاريخ التصوف (٢) فإنه يعتبر " واضع أساس هذا المنهج النقدي" (٣) كتابة، إذ خصص باباً في " اللمع" بعنوان " باب في ذكر من غلط من المترسمين بالتصوف، ومن أين يقع الغلط، وكيف وجوه ذلك، وقسم نقده إلي قسمين: ما يتعلق بالفروع، وما يتعلق بالأصول (٤).

والظاهر أنه يقصد بالأولي: بعض الأمور العملية التي ترجع إلي السلوك وبعض آداب الطريق التي أخطأ فيها قوم دون خروج علي أصول الدين وفقه العقيدة، ولذا يقول عنهم: " ذكر من غلط في الفروع التي لم تؤدهم إلي الضلالة " (٥)،

أما الثانية: فيعني بها الخطأ في المبادئ والمفاهيم، والمعتقدات والأفكار التي قد تفضي إلي الخروج عن أصول العقيدة الصحيحة، ولذا يقول عنهم " ذكر من غلط في الأصول ، وأداه ذلك إلي الضلالة (٦) " ثم ألحق بهم بعد ذلك طبقة ثالثة: كان غلطهم فيما غلطوا فيه هفوة وزلة، لا علة وجفوة، فإذا تبين ذلك عادوا إلي مكارم الأخلاق، ومعالي الأمور، فسدوا الخلل، ولموا الشعث، وتركوا العناد، وأذعنوا للحق (٧) .

يقول الدكتور " الشافعي": ولكن الطبقة الثالثة ، إما أن تدخل في المخالفات الفرعية التي لا تؤدي إلي ضلالة، أو أن تهمل تماماً في باب الغلط والانحراف، لما أنهم لا يلبثون أن يعودوا إلي الاستقامة ويذعنوا للحق كما قال (٨)، وعندي: أن هؤلاء يدخلون في المخالفات الفرعية، ولكن لا ينبغي إهمال ذكر غلطاتهم وانحرافاتهم في باب الغلط، ليكون الوجه الصحيح للتصوف ظاهراً للعيان، لا ينكره إلا ذو رمد في عينيه، فيعرف من هو داخل في إطاره ومن هو خارج عنه .

قال ﷺ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گژ سورة الأنفال، الآية:٤٢"

ومن النماذج التي ذكرها الطوسي لأخطاء من غلط في الفروع ، وهي موجودة بيننا إلي هاتيك اللحظة ووضح غلطهم منذ أكثر من ألف عام:- جماعة ظنوا أن التصوف: هو السماع والرقص، واتخاذ الدعوات، وطلب الإرفاق، والتكلف للاجتماعات علي الطعام، وعند سماع القصائد، والتواجد (٩) والرقص، ومعرفة صياغة الألحان بالأصوات الطيبة، والنغمات الشجية، والاختراع من الأشعار الغزلية، وقد غلطوا في ذلك ، لأن كل قلب ملوث بحب الدنيا، وكل نفس معتادة بالبطالة والغفلة، فسماعه معلول، وحركته وقيامه تكلف، فمن ظن أنه يصير بتكلفه وحيله وتمنيه، من المتحققين، في وقت السماع، وغير ذلك: فقد غلط في ذلك (١٠) .

ومن النماذج التي ذكرها لأخطاء من غلط في الأصول: فرقة ضلت في تفضيل الولاية علي النبوة، ووقع غلطهم في قصة موسي والخضر (١١) ٨، إذ يقول ﷺ: ﴿ ▫❑◆⌧⌫⧫✡⑨⬀⌧⧫⬉ ⧫⌧⬉⧫⑩...

---

(١) هو أبو نصر عبد الله بن علي بن السراج الطوسي، الملقب بطاووس الفقراء، وشيخ الصوفية،وقال عنه السخاوي: كان علي طريقة أهل السنة ، ت ٣٧٨هـ ، انظر ترجمته في مقدمة كتابه " اللمع في تاريخ التصوف ٣، ٤، ٥، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ سنة ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، بتحقيق/ كامل مصطفي الهنداوي .

(٢) د/ حسن الشافعي، فصول التصوف ص ٢٠٩، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الفجالة، مصر سنة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

(٣) د/ حسن الشافعي، د/ أبو اليزيد العجمي، في التصوف الإسلامي ص ٢١٢، دار السلام، ط١ سنة ١٤٢٨هـ .

(٤) أبو نصر السراج الطوسي، اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي ص ٣٦٢، ٣٦٣ .

(٥) انظر المصدر السابق ص ٣٦٤ .

(٦) المصدر السابق ص ٣٧٢، د/ حسن الشافعي، فصول في التصوف الإسلامي ص ٢١٢ .

(٧) اللمع ص ٣٦٣ .

(٨) فصول في التصوف ص ٢١٣ .

(٩) هو استدعاء الوجد بضرب اختيار وليس لصاحبه، كمال الوجد لما يتضمن من التكلف، انظر الرسالة القشيرية ص ١٢٣ .

(١٠) اللمع ص ٣٧١ باختصار .

(١١) علي الأرجح اسمه " بليا" بفتح الباء وكنيته " أبو العباس" ، وسمي بالخضر، لقول رسول الله ﷺ إنما سمي الخضر أنه جلس علي فروة بيضاء ، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء)، انظر ابن حجر العسقلاني . فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٦/ ٤٨٣ . المكتبة الإسلامية . عين شمس . القاهرة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، والحديث رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الخضر مع موسي عليه السلام، برقم ٣٤٠٢ .

﴾ (سورة الكهف،الآية:٦٥)،ثم قال لموسي عليه السلام مع تخصيصه بالكلام والرسالة ﴿ ﴾
(سورة الكهف،الآية:٦٧)، فيقول له موسي عليه السلام ﴿ ﴾ (سورة الكهف،الآية:٧٣)، فظنت هذه الطائفة الضالة، أن ذلك نقص في نبوة موسي عليه السلام وزيادة للخضر عليه السلام علي موسي في الفضيلة، ففضلوا الأولياء علي الأنبياء، وقد ذهب عنهم أن الله ﷻ خص من يشاء بما يشاء كيف يشاء، وكل ولي من الأولياء ينال ما ينال من الكرامة بحسن اتباعه لنبيه ﷺ، فكيف يجوز أن يفضل التابع علي المتبوع، والمقتدي علي المقتدي به، وإنما يعطي الأولياء رشاشة مما يعطي الأنبياء & والذي قال:إن الأنبياء & يوحي إليهم بواسطة ، والأولياء يتلقفون (١) من الله بلا واسطة، فيقال لهم: غلطتم في ذلك، لأن الأنبياء، هذا حالهم علي الدوام، يعني الإلهام ، والمناجاة، والتلقف من الله ﷻ بلا واسطة، والأولياء وقتا دون وقت (٢) .

وقد أطال الطوسي الحديث عن غلطات الصوفية السابقين عليه والمعاصرين له، حتى وصل عدد الأوراق التي كتبها في ذلك، ما يقرب من خمس وعشرين ورقة (٣) بأسلوب بارع،ونقد سديد وفهم ثاقب، وحب للتصوف، وغيرة عليه، فبارك الله له جهده، وشكر صنيعه، وليت زماننا يجود بمثله .
وفي القرن الخامس الهجري:
صنف " السلمي" (٤) مؤلفاً بعنوان "أصول الملامتية وغلطات الصوفية"، والجزء الخاص بغلطات الصوفية، معظمه مأخوذ مما جاء في اللمع للطوسي، وقد تجاوز السلمي في نقله من الطوسي أخذ المعني إلي أخذ اللفظ والعبارة (٥) .
ومن نفس رجال الفترة " القشيري" (٦)، الذي كان أستاذ الجماعة في خراسان (٧)، وصاحب الرسالة القشيرية، والمتأمل فيها يلاحظ في وضوح اتجاه القشيري لتصحيح التصوف علي أساس عقيدة أهل السنة، فيقول: " اعلموا – رحمكم الله – أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم علي أصول صحيحة في التوحيد، صانوا بها عقائدهم عن البدع، ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل، وعرفوا ما هو حق القدم، وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العدم، قال سيد هذه الطريقة الجنيد (٨) ـ ~ ـ: التوحيد إفراد القدم من الحدث (٩)" وينطوي كلامه هذا علي إنكار ضمني علي صوفية الشطح (١٠)، الذين نطقوا بعبارات توهم الخلط بين صفات الألوهية وأخصها القدم، وصفات البشرية وأخصها الحدوث، إلا أنه يصرح في موضع آخر بنقدهم قائلاً: " وادعوا أنهم تحرروا عن رق الأغلال، وتحققوا بحقائق الوصال، وأنهم قائمون بالحق تجري عليهم أحكامه، وهم محو، وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه عتب ولا لوم" (١١) .

---

(١) اللقف : تناول الشئ يرمي به إليك ، انظر أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري – تهذيب اللغة ٩/ ١٣١، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ سنة ٢٠٠١م، تحقيق/ محمد عوض مرعب .

(٢) اللمع ٣٧٤، ٣٧٥، باختصار كبير .

(٣) اللمع من ٣٦٢، ٣٨٦ .

(٤) هو محمد بن الحسين بن محمد أبو عبد الرحمن السلمي الصوفي النيسابوري، صاحب مصنف طبقات الصوفية، ت ٤١٢هـ ، انظر أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٨، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

(٥) أبو عبد الرحمن السلمي ، أصول الملامتية وغلطات الصوفية ص ١٧٥ ، مطبعة الإرشاد بمصر ، سنة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، تحقيق د/ عبد الفتاح أحمد الفاوي محمود .

(٦) سبقت ترجمته .

(٧) وفيات الأعيان ٣/ ٢٠٥ .

(٨) سبقت ترجمته .

(٩) الرسالة القشيرية ص ٢٢ .

(١٠) الشطح هو عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوي، انظر الجرجاني . التعريفات ص ١١٢، مطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٥٧هـ. ١٩٣٨م .

(١١) الرسالة القشيرية ص ٢١ .

ويعطينا القشيري صورة أخري عن انحرافات صوفية القرن الخامس في عبارات أخاذة، قائلاً: " إن المحققين من هذه الطائفة (الصوفية) انقرض أكثرهم، ولم يبق في زماننا من هذه الطائفة إلا أثرهم، كما قيل:

أما الخيام فإنها كخيامهم .. وأري نساء الحي غير نسائها [١]

حصلت الفترة [٢] في هذه الطريقة، لا بل اندرست الطريقة بالحقيقة، ومضي الشيوخ الذين كانوا بهم اهتداء، وقل الشباب الذين كان لهم بسيرتهم وسنتهم اقتداء، وزال الورع وطوي بساطه، واشتد الطمع وقوي رباطه، وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، ودانوا [٣] بترك الاحترام ، وطرح الاحتشام [٤]، واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، وركضوا [٥] في ميدان الغفلات، وركنوا إلي اتباع الشهوات، وقلة المبالات بتعاطي المحظورات" [٦]، وقد يكون في كلامه هذا شئ من المبالغة، ولكنه علي أي حال دلنا علي أن التصوف في عصره بدأ ينحرف عن مساره الأول من ناحية العقيدة، أو من ناحية الأخلاق والسلوك، علي السواء، ولذلك يعلن القشيري أنه كتب رسالته غيرة منه علي هذه الطريقة ، فهو لا يريد أن يذكر أحد أهلها بسوء، مستنداً إلي انحراف بعض الأدعياء لها، فهي علي حد تعبيره " سلوي عن الشكوي" مما كان عليه تصوف عصره [٧] .

وفي نفس الفترة يعالج " الهجويري"[٨] ذات الموضوع علي أساس الاختفاء التام لعلم التصوف في زمنه، خصوصاً في المنطقة التي يعيش فيها [٩]، وأنه لم يبق منه إلا صورة مشوهة مخالفة للأصل، يقول: اعلم أن هذا العلم قد اندرس [١٠] في الحقيقة في زمننا، وبخاصة في هذه الديار، حيث انشغل الخلق جميعاً بأهوائهم، وقد بدت لعلماء هذا العصر وأدعياء هذا الوقت، صورة لهذه الطريقة علي خلاف أصلها، ثم يبدي تعجبه من صوفية زمانه الذين أسموا النفاق زهداً، وهذيان [١١] الطبع معرفة، وحركات القلب وحديث النفس محبة، والزندقة فناء [١٢]، وترك طريق النبي ﷺ شريعة [١٣]، وإذا أمر الصوفية كذلك في القرن الخامس الهجري، فكيف لو عاش القشيري والهجويري إلي عصرنا، ورأيا ما عليه صوفية زماننا من الهنات والتخبيط والبدع، فماذا يقولان ؟!!! .

وفي القرن السادس الهجري :-

---

(١) ينسب البيت لـ " علي بن أحمد بن سلك الفالي، وكنيته" أبو الحسن، "ويعرف بالمؤدب، مات سنة ٤٤٨هـ ، انظر أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ٣/ ٥٤١، ٥٤٢، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ سنة ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

(٢) الفترة: الانكسار والضعف، وفتر الشئ أي سكن بعد حدة، ولان بعد شدة، لسان العرب ٥/ ٤٣ .

(٣) يقال : دان إذا أطاع، ودان إذا عصي، ودان إذا اعتاد خيراً أو شراً، انظر المصدر السابق ١٣/ ١٧٠ .

(٤) أي الحياء: انظر السابق ١٢/ ١٣٥ .

(٥) الركض: تحريك الرجل ، انظر محمد بن أبي بكر ، عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ص ٢٥٥، الهيئة المصرية العامة لشئون المطابع الأميرية ، ط١٠ سنة ١٣٣٥هـ - ١٩١٦م ، تحقيق/ السيد محمود خاطر .

(٦) الرسالة القشيرية ص ٢٠، ٢١، باختصار .

(٧) انظر د/ أبو الوفا التفتازاني، مدخل إلي التصوف الاسلامي ص ١٤٧، ١٤٨ ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة، ط الثالثة، ، د.ت .

(٨) هو أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري ت ٤٦٥هـ .

(٩) غزنة وتقع الآن علي الطريق بين كابل وقندهار في أفغانستان .

(١٠) أي عفا ، انظر مختار الصحاح ص ٢٠٣ .

(١١) الهذيان كلام غير معقول، انظر الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين ٤/ ٨١ ، دار هلال ، تحقيق د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي ، د.ت .

(١٢) الفناء: سقوط الأوصاف المذمومة، وهو علي نوعين، أحدهما ما ذكرناه، والثاني عدم الإحساس بعالم الملك والملكوت ، انظر السيد الشريف الجرجاني، التعريفات ص ١٤٨، والمراد بالعبارة التي أوردها الهجويري أن بعض الصوفية في زمانه خرجوا عن الشرع، وإن حاجهم حاج ادعوا أنهم أهل فناء، ووصول إلي الله — عز وجل، فلا عتب عليهم في شئ يفعلونه .

(١٣) أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري، كشف المحجوب ١/ ٣٥، ١٩٧، ١٩٩ ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة سنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م ، تحقيق د/ إسعاد عبد الهادي قنديل، مراجعة د/ أمين عبد المجيد بدوي .

قسم " أبو حامد الغزالي" (١)، متصوفة زمانه إلي فرق كثيرة، وأخذ ينتقد أفعالهم، ويعدد أخطاءهم فرقة بعد أخري، مبيناً مواطن غرورهم وانحرافهم عن المنهج السوي، وهذا يدل علي أن حبه للتصوف وانخراطه في حوزة أهله لم يقف حجر عثرة وحائلاً دون بيان غلط الغالطين، وغرور المغرورين، ولا عجب في ذلك، فقد انتقد من قبل طرائق الفلاسفة والحكماء والمتكلمين، والموسومين بالعلم فيما بين الناس، يقول الغزالي عن الصوفية: "وما أغلب الغرور علي هؤلاء المغرورين – منهم متصوفة أهل هذا الزمان – إلا من عصمه الله – ممن اغتروا بالزي والمنطق والهيئة، ولم يتعبوا أنفسهم قط بالمجاهدة والرياضة والمراقبة للقلب في تطهير الباطن والظاهر" (٢)، وهذا نقد من الغزالي لفئة من الصوفية، أطلق عليهم " ابن تيمية " (٣) من بعده صوفية الرسم (٤)، أي الشكل والهيئة والمظهر، وهؤلاء ليسوا من جنس صوفية أهل الحقائق وإنما هم دخلاء علي الطريق، وضررهم أشد من ضرر اللصوص .

ومن المتصوفة من يبغض الفقهاء والعلماء والمحدثين، ويعتقد أنه أعلي منهم مقاماً، وأسمي منهم منزلة، وأشرف منهم علما، إذ أنه عليم في علم الباطن، وهؤلاء فقهاء في العلم الظاهر، وقد يتشدق أحد هؤلاء فيقول ساخراً من الفقهاء والمحدثين: علمكم علم الورق، وعلمنا علم الخرق، أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، علمكم القشر، وعلمنا اللباب، وما دري أولئك أن الصوفي ما هو إلا فقيه عمل بعلمه، وأنه لابد للتصوف من الفقه، كما أنه لا استغناء للناس عن الشمس، وينتقد الغزالي هذا الصنف من الصوفية، الذين كانوا سبباً واضحاً – في نظري – في توهج وازدياد الخلاف بين الصوفية وغيرهم فيقول: " وفرقة أخري ادعت علم المكاشفة، ومشاهدة الحق، والوصول إلي القرب، فينظر إلي المحدثين والمفسرين، وأصناف العلماء ، بعين الازدراء، فضلاً عن العوام، وهو من الحمقي الجاهلين، لم يحكم قط علما، ولا يراقب قلباً" (٥)، ومن جهلاء الصوفية من اعتقد أن من توكل علي الله حق توكله، استوي عنده السبب وعدمه، وإنهم يجهلون أن مقام التوكل من أعمال القلوب، ولذلك كان سيدنا رسول الله ﷺ وهو الذي قام بتمام العبودية المطلوبة منه في هذا المقام، آخذاً بالأسباب الظاهرة، مع عقد قلبه علي أنها لا تنفع ولا تضر إلا بإذن الله ﷻ، فقلبه مع الله – تعالي- باطناً، وجوارحه في الأخذ بالأسباب ظاهراً، وينتقد الغزالي فرقة من الصوفية غفلوا عن الوجه الحقيقي للتوكل فقال عنهم" : ومنهم من يخوض البوادي من غير زاد، ليصحح التوكل، وليس يدري أن ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة ﷺ" (٦) .

والطريق إلي الله ﷻ وعرة ، يكتنفها الكثير من المخاطر، والابتلاءات، سواء بالشر أو الخير، ومن لم يرزق من الله عوناً، ولا من الذات العلية توفيقاً، فإنه سيحرم الوصول إلي مقصده، وكثير من الصوفية اغتروا بما شاهدوا، فربما تعلقت قلوبهم بما رأوا، وربما نطقوا بألفاظ ظاهرها كفر، وفيها دعوي أنهم وصلوا، ولكنهم ما اتصلوا، يقول الغزالي ـ ~ ـ: " وفرقة أخري ابتدأوا سلوك الطريق، وانفتحت لهم أبواب المعرفة، فكلما شموا من مبادئ المعرفة رائحة فرحوا بها، فتعلقت قلوبهم بالالتفات إليها، والتفكر فيها، فحرموا الوصول إلي المقصد، وفرقة أخري جاوزت هؤلاء، ولم تلتفت إلي الأنوار التي في الطريق،جادين في السير، فلما قاربوا الوصول، ظنوا أنهم وصلوا،فربما صرح أحدهم وقال:أنا الحق(٧)، وبهذه العين نظر النصارى إلي المسيح ـ عليه السلام ـ فغلطوا" (٨) هذه بعض أنواع الغرور، في طريق السالكين إلي الله من الصوفية، سطرها " الغزالي" لتكون عبرة وعظة لمن سلك سبيلهم إلي يوم الدين .

وفي القرن السابع الهجري:-

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين ٣/ ٤٠٤، القاهرة ، تحقيق/ عبد اللطيف عاشور ، د. ت ، وانظر لنفس المؤلف: أصناف المغرورين ص ٦٦: ٧٤، مكتبة القرآن ، القاهرة، تحقيق/ عبد اللطيف عاشور ، د. ت .

(٣) هو شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني المتوفي سنة ٧٢٨هـ .

(٤) أحمد بن تيمية، مجموعة الفتاوي مج ٦ ج ١١ ص ١٥، دار الوفاء، المنصورة، القاهرة، ط١ سنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، تحقيق/ عامر الجزار ، أنور الباز .

(٥) الإحياء ٣/ ٤٠٥ .

(٦) نفسه ٣ /٤٠٦ .

(٧) صاحب هذه المقولة هو: الحسين بن منصور الحلاج، ولم يصرح الغزالي باسمه .

(٨) الإحياء ٣/ ٤٠٧ .

ينبغي أن نعطي أهمية خاصة لهذا النقد العنيف الذي وجهه " ابن عربي" [١] إلي صوفية عصره، ولا سيما في المشرق [٢]، وذلك لصدوره – أولاً – عن صوفي عاصرهم .
وثانياً: لاحتوائه علي قدر كبير من الموضوعية، فراح " ابن عربي" يبين لصوفية المشرق ما هم عليه من الفساد، وأهم ما لفت نظره ذلك الاهتمام الزائد بالمظهر الصوفي، يقول: فأول ما وصلت إلي هذه البلاد، سألت عن أهل هذه الطريقة المثلي، عسي أجد منهم نفحة الرفيق الأعلي، فحملت إلي جماعة، جمعتهم "خانقاه" [٣]، عالية البناء، واسعة الفناء، فنظرت إلي مغزاهم المطلوب، ومنحاهم المرغوب، تنظيف مرقعاتهم [٤]، بل مشهراتهم [٥]، وترجيل لحاهم [٦]، علي السجادات والمرقعات والمشهرات والعكاكز [٧]، وأظهروا السبحات المزينة كالعجائز [٨]، لذلك نراه إزاء هذه المظهرية الخادعة يبين لهم جوهر التصوف الحقيقي قائلاً: والله ما علم الطريق هكذا، وما كان إلا بالقعود في مرابض الكلاب [٩] ـ مجاهدة، وتحمل الأذى وكفه – رياضة، والرحمة والشفقة علي الفقراء والمسلمين كافة – تحقيقاً ومعرفة [١٠]، لكنهم أبعد الناس عن ذلك، نظراً لما هم عليه من تكالب علي الدنيا وتعظيم لها،فهم " صوفية صوف، بأغراض الدنيا موشحون [١١]، عظمت الدنيا في قلوبهم، فلا يرون فوقها مطلباً، وصغر الحق في نفوسهم، فأعجلوا عنه هرباً [١٢]، وهو يري أنهم جمعوا إلي هذا التكالب علي الدنيا جهلاً تاماً بأمور الحلال والحرام ، فضلاً عن أوليات العبادة ، فهم طغام [١٣]، صبيان، أحلام، لا علم عن الحرام يردهم، ولا زهد عن الرغبة في الدنيا يصدهم [١٤]، أما طريقة أدائهم للصلاة، فيرسم لها" ابن عربي" صورة مضحكة حين يقول: والله " يا وليي، لو رأيتهم في صلاتهم ينقرونها، وفي صفوفهم لا يقيمونها، يجعل الواحد بينه وبين صاحبه في الصف ، قدر ما يدخل منه ألف شيطان، ثم إذا جئت أن تسد الخلل، تراهم قد قطبوا [١٥] وجوههم،فإن غفلت ووطئت برجلك سجادة أحدهم،لكمك لكمة، حيث جاءت منك،وقد يكون فيها حتفك [١٦]، ومن الآراء التي كانت تتردد في هذا الوسط الصوفي ما يذكره " ابن عربي" في روح القدس من القول بعدم جدوي شفاعة الرسول ﷺ، نتيجة لمبدأ اتصال الصوفي بربه، وكذلك القول بأن الجنة لم تخلق بعد، يقول ابن

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد ابن عربي، أبو عبد الله الطائي الأندلسي، لقب عند الصوفية بالشيخ الأكبر، وله مصنفات كثيرة منها الفتوحات المكية وفصوص الحكم وغيرهما ت ٦٣٨هـ ، انظر إسماعيل بن عمر بن كثير ، البداية والنهاية ١٣/ ١٥٦، مكتبة المعارف ، بيروت، د.ت .

(٢) زار ابن عربي مصر والشام، وله في كل بلد دخلها مؤلفات، انظر الطبقات الكبري للشعراني ١٦٣/١.

(٣) هو رباط الصوفية ومتعبدهم، انظر محمد مزدنى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ٣٦/ ٣٧٤ ، دار الهداية، تحقيق/ مجموعة من المحققين، د.ت .

(٤) الرقعة: الخرقة، انظر لسان العرب ٨/ ١٣٢ .

(٥) أي ما يشتهرون بها بين الناس أنهم صوفية .

(٦) ترجيل الشعر أي: إرساله بمشطه، انظر مختار الصحاح ص ٢٣٦ .

(٧) العكازة هي عصا في أسفلها زج يتوكأ عليها الرجل، انظر لسان العرب ٥/ ٣٨٠ .

(٨) محيي الدين ابن عربي، روح القدس في مناصحة النفس ص ٣٦ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٥م ، تحقيق د/ حامد طاهر .

(٩) ربوض الغنم والبقر والكلب مثل بروك الإبل وجثوم الطير ، مختار الصحاح ص ٢٢٩ .

(١٠) روح القدس ص ٣٧ .

(١١) التوشح بالرداء مثل التأبط والاضطباع ، لسان العرب ٢/ ٦٣٣ .

(١٢) روح القدس ص ٣٧ .

(١٣) تقول العرب للرجل الأحمق طغامة والجمع الطغام، لسان العرب ١٢/ ٣٦٨ .

(١٤) روح القدس ص ٣٨ .

(١٥) القطب بفتح القاف: تزوي ما بين العينين عند العبوس، انظر العين ٥/ ١٠٧ .

(١٦) روح القدس ص ٣٨ ، ٣٩ .

عربي: " وأما المدعون في هذه الطريقة، فقد قاربوا الخروج من الجماعة [١]، بل خرجوا، فطائفة بلغني عنهم أنهم استغنوا عن شفاعة الرسول ﷺ، لما تحققوا به مع الحق من حقائق الوصال، ولو رأيت أحوالهم، لرأيت نقيصة الكون، وما تسخن به العين، وقال من تبرز [٢] فيها إماماً، تحل إليه الحبا [٣]، وهو لا يعرف ما خلق له، ولا يرتضي، ويدعي الكشف الأتم مع الحق، فقال: إن الجنة لم تخلق، هذا أعطاه كشفه المكشوف، وعقله السخيف المتلوف [٤] .

---

(١) أي جماعة المسلمين .

(٢) أي فاق علي أصحابه، مختار الصحاح ص ٤٨ .

(٣) الحباء ما يحبو به الرجل صاحبه ويكرمه به ، لسان العرب ١٤/ ١٦٢ .

(٤) روح القدس ص ٣٩ .

وفي القرن السابع الهجري :-
ظهر أيضاً " أبو الحسن الشاذلي" [١] الذي جلس إليه" تقي الدين بن العيد [٢] " وقال عنه: ما رأيت أعرف بالله منه [٣]، لقد انتقد " الشاذلي" عمليا – الفكرة الخاطئة عن التصوف، وهي أنه يدعو إلي الفقر والكسل وترك الدنيا بالكلية، إذ كان يعمل في الزراعة علي نطاق واسع، فهو يتحدث في خطاب له لأحد أصدقائه عن سبب تأخيره في السفر فيقول: " وسبب الإمساك عن السفر زرع لنا يدرس، قد حرث لنا في ثلاثة مواضع" [٤]، ويعلق الإمام عبد الحليم محمود [٥]، علي هذا بقوله: وإن الذي يؤخر أبا الحسن عن السفر ليس هو زرع فدان أو فدانين، ولا حصد فدان أو فدانين، فالأرض قد حرثت في ثلاثة مواضع [٦]، ويعلن أن الملابس الرثة لا علاقة لها بالتصوف ، دخل عليه مرة فقير (صوفي) ، وعليه لباس من شعر (صوف) ، فلما فرغ الشيخ من كلامه، أمسك الفقير بملابس الشيخ، وقال له: ما عبد الله بمثل هذا اللباس الذي عليك (وكان لباس الشيخ لباساً لينا)، فأمسك الشيخ بملبس الفقير فوجد فيه خشونة، فقال له: ولا عبد الله بمثل هذا اللباس الذي عليك، ولباسي يقول: أنا غني عنكم فلا تعطوني، ولباسك يقول: أنا فقير إليكم فأعطوني [٧] .
وفي القرن التاسع الهجري:
يعترف " أحمد زروق" [٨] أن الصوفية وقعوا في الطامات، وتكلموا بالشطحات، حتى كفر من كفر، وبدع من بدع، وفسق من فسق، بواضح الشريعة، ولسان العلم ظاهراً وباطناً ، فلزم التحفظ في القبول لأنه لا يؤخذ إلا عن الكتاب والسنة، وفي الإلقاء بأنه لا يلقي إلا بالوجه السائغ فيهما من غير منازع، وإلا فلا عتب علي منكر استند إلي أصل صحيح [٩] .
وفي القرن العاشر الهجري:-
خصص الإمام " عبد الوهاب الشعراني" [١٠] كتاباً بنقد مرير ولاذع لمدعي التصوف في عصره، هو كتاب " تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر علي ما خالفوا فيه السلف الطاهر " [١١]، وذكر في مقدمته أنه كالسيف القاطع لعنق كل مدع للمشيخة في هذا الزمان بغير حق، لأنه يفلسه حتى يري نفسه منسلخة من أخلاق القوم، كما تنسلخ الحية من ثوبها [١٢]، واستفتح حديثه عن أخلاق السلف بخلق " ملازمة الكتاب والسنة"، وبين أنهم يلازمونهما ملازمة الظل للشخص، ولا يتصدر أحدهم للإرشاد إلا بعد تبحره في علوم الشريعة المطهرة، بحيث يطلع علي جميع أدلة المذاهب المندرسة [١٣] والمستعملة [١٤]، ومن ذلك نقد شيوخ التصوف في عصره، في أنهم لم يكونوا علي قدر من العلم والفقه، يقول: هذا

---

(١) هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي، من شاذلة قريبة من إفريقية، الضرير الزاهد ، نزيل الإسكندرية، وشيخ الطريقة الشاذلية، مات وهو في طريقه إلي الحج سنة ٦٥٦هـ ، انظر عبد الوهاب الشعراني ، الطبقات الكبرى ٢/٤: ١٢ .

(٢) هو محمد بن علي بن وهب أبو الفتح تقي الدين القشيري، ولي قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٥هـ ، وتوفي بالقاهرة سنة ، ٧٠٢هـ ، انظر عنه الإمام السيوطي، طبقات الحفاظ ، ١/ ٥١٦، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١ سنة ١٤٠٣هـ .

(٣) الحافظ عبد الله الصديق الغماري، الإعلام بأن التصوف من شريعة الإسلام ص ٦٢، علق عليه عصام محمد الصاوي، مكتبة القاهرة، ط٢ سنة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م .

(٤) الإمام عبد الحليم محمود، أبو الحسن الشاذلي ص ١٧، جمع وترتيب محمد عبد الله ، مكتبة الإيمان بالقاهرة، د.ت .

(٥) شيخ الأزهر الأسبق .

(٦) أبو الحسن الشاذلي ص ١٧ .

(٧) ابن عطاء الله السكندري. لطائف المنن ص ٢٠٧ تحقيق د/ عبد الحليم محمود، دار الشعب، سنة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

(٨) هو أحمد بن أحمد بن محمد الفاسي المعروف بـ " زروق" المتوفي سنة ٨٩٩هـ .

(٩) أحمد زروق ، قواعد التصوف ، قاعدة ٢٠٤، ص ١٢٦، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان، ط٣ سنة ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م ، تحقيق / عبد المجيد خيالي .

(١٠) هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن ذوقا الشعراني المصري الشافعي الصوفي، كان من جلة مشايخ الصوفية في عصره ت ٩٧٣هـ ، انظر نجم الدين محمد بن محمد الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ص ٤٤٢، بدون بيانات .

(١١) طبعته مؤخراً المكتبة الثقافية الدينية بمصر، ط١ سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، تحقيق د/ أحمد عبد الرحيم السايح، المستشار / توفيق علي وهبه .

(١٢) المصدر السابق ص ٤ .

(٤) التي عفا عليها الزمن .

(١٤) المصدر السابق ص ١٢ .

(٦) أي صوفية .

الخلق قد صار غريباً في فقراء [١] هذا الزمان، فصار أحدهم يجتمع بمن ليس له قدم في الطريق، ويتلقف منه كلمات في الفناء والبقاء والشطح [٢]، بما لا يشهد له كتاب ولا سنة [٣].

وضرب علي ذلك شاهداً ومثالاً وقع معه، يقول: وقد دخل علي شخص منهم فصار يخوض بغير علم ولا ذوق في الفناء والبقاء، ومعه جماعة يعتقدونه، فواظبني أياماً، فقلت له: أخبرني عن شروط الوضوء والصلاة ما هي؟ فقال لي: أنا ما قرأت شيئاً في العلم، فقلت له: يا أخي، إن تصحيح العبادات علي الكتاب والسنة أمر واجب بالإجماع، ومن لم يفرق بين الواجب والمندوب، ولا بين المحرم والمكروه، فهو جاهل،والجاهل لا يجوز الاقتداء به لا في طريق الظاهر ولا في طريق الباطن،فخرس ولم يرد جواباً [٤]، كذلك انتقد قول القائلين من الصوفية " بحجية الإلهام" [٥]، وقال: قد زل في هذا الباب خلق كثير، فضلوا وأضلوا ، ولنا في ذلك مؤلف سميته " حد الحسام في عنق من أطلق إيجاب العمل بالإلهام [٦].

المطلب الرابع: النقد الذاتي للتصوف في العصر الحديث

ولقد سرت تلك الروح إلي عصرنا الذي صار التصوف فيه حرفة لبعض المعممين، يتصيدون به الأتباع، ويجمعون به الأموال، ويرددون عبارات الصوفية، كما تردد الببغاء كلمات المتكلمين، دون فهم لمعناها، وعمل بمقتضاها .

إن التصوف في العصر الحديث لا يخفي علي عاقل منصف ما أصيب به من ركود واندثار (أقصد كعلم) ، بسبب المخالفات الكثيرة التي وقع فيها – عمداً أو سهواً أو جهلاً – أتباع الطرق الصوفية، سواء في أمور العقيدة أو مجالات السلوك، والواقع خير شاهد، وليس المخبر كالمعاين، وليس من راء كمن سمعا ، لأن العيان أشفي من الخبر، ولكن تلك المخالفات ، كما أنها انتقدت من قبل علماء لا ينتمون إلي التصوف، لأنهم رأوا مناقضتها لظاهر الكتاب والسنة، انتقدها – كذلك- بعض الصوفية أنفسهم، بدافع الحب للتصوف الصحيح والغيرة علي أهله .

١- فهذا هو د/ التفتازاني، الأستاذ الجامعي [٧]، وشيخ مشايخ الطرق الصوفية الأسبق: ينتقد الطرق الصوفية وما آلت إليه في القرون المتأخرة من شغف بالولاية والأولياء والكرامات والقباب التي شيدت علي القبور، وأخذت من الأموال الكثير والكثير فيقول عن أتباعها: "انصرف أتباع هذه الطرق شيئاً فشيئاً إلي الشكليات والرسوم، وابتعدوا عن العناية بجوهر التصوف ذاته، وسيطرت علي جماهير المنتسبين إلي تلك الطرق الأوهام والمبالغة في التحدث بمناقب الأولياء وكراماتهم، التي لم يكن يأبه لها المحققون من أوائل شيوخ التصوف، ولم يكن يعتبرونها دالة علي كمال العلم والعمل، ومن هنا استهدفت الطرق لنقد شديد في العصور الحديثة من المصلح الديني محمد بن عبد الوهاب [٨] وأتباعه [٩] .

---

(٢) سبق توضيح معني الفناء والشطح، أما البقاء فإنه يعني: رؤية العبد قيام الله علي كل شئ " انظر التعريفات للجرجاني ص ١١٢، ٢٣٦ .

(٣) تنبيه المغترين ص ١٢ .

(٤) نفس المصدر والموضع .

(٥) الإلهام هو أن يلقي الله – تعالي- في النفس أمراً يبعثه علي الفعل والترك، وكثيراً ما يعبر الصوفية عن الإلهام " بالكشف" ، لأنه يكشف لهم عن أمور مغيبة عما سواهم ، واعتبر الغزالي الكشف أمراً يطلب، والحقيقة أنه أمر يوهب، وقد ناقشه القرضاوي في ذلك ، انظر كتابه موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤي ص ١٦، ٩٤، ١٠٥ ، وما بعدها – مؤسسة الرسالة- ط١ سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

(٦) الآلوسي ، روح المعاني ١٦ / ١٧ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د. ت .

(٧) هو الأستاذ الدكتور/ أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، من مواليد كفر الغنيمي (١٩٣٠هـ – ١٩٩٤م) ، رئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب، جامعة القاهرة، سابقاً ، وأنشأ أقسام الفلسفة بجامعات بيروت وقطر وعمان والكويت ، وهو شيخ الطريقة الغنيمية، وشيخ مشايخ الطرق الصوفية في مصر ، وكان التصوف مدار حياته منذ شبابه، وتخصصه الأكاديمي ، انظر د/ عبد المنعم الحفني، الموسوعة الصوفية ص ١٠٢، ترجمة ٧٠٥، مكتبة مدبولي، ط١ سنة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .

(٨) هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب المشرفي التميمي النجدي (١١١٥ – ١٢٠٦هـ) (١٧٠٣ – ١٧٩١م) ، أحد كبار أعلام الدعوة السلفية في عصرنا ، ودعوته رائدة الحركات الإصلاحية التي ظهرت إبان التخلف والجمود الفكري في العالم الإسلامي، انظر للاستزادة الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١/ ١٦٤، إشراف وتخطيط د/ مانع بن حماد الجهني ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، ط٣ سنة ١٤١٨ هـ .

(٩) مدخل إلي التصوف الإسلامي ص ٢٤٦ .

٢- وذلك رائد العشيرة المحمدية " محمد زكي إبراهيم " [١]لا يعجبه هذا اللون من الذكر الذي نسمعه من بعض المنتسبين إلي طوائف الصوفية، بكلمة " أه ، أه " أو بغيرها، فيقول في جرأة وشجاعة: " أما تحريف أسماء الله الحسني في حلقات الذكر، فإنه حرام بإجماع أئمة التصوف، وحسبك فيه قول الله – تعالي- ﴿ [illegible]
[illegible]
[illegible] ﴾ (سورة الأعراف،الآية:١٨٠)، وهذا الإلحاد يشمل نحو قولهم ها،ها، أو "هي،هي " أو " أه ، أه " [٢]، وغير ذلك من الأصوات الساذجة الحمقاء، التي لا تكون أبداً من كرام الناس، ولا من أفاضلهم، لا أسلوباً ولا أداء .

وفي ذلك يقول الشيخ الأخضري [٣] في أرجوزته الصوفية:

أبقوا من اسم الله حرف الهاء .. فألحدوا في أعظم الأسماء
لقــد أتوا والله شيئاً إدا .. تخر منه الشامخات هدا [٤] .

٣- وينتقد محمد زكي إبراهيم، كذلك – ما في حلقات الذكر، أو الحضرات، من رقص أو طبل أو تمايل وأصوات ينفر منها العقل السليم، ويأباها الطبع النظيف، ويقبل عليها الشباب المبكوت، تلك الأمور التي هي نوع من الهزل والتمثيل الصاخب ولا تدل علي أن صاحبها ذاكر لله – ﷻ- حقاً ، ولا أن قلبه مطمئن بذكره يقيناً، قال ﷻ ژ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ژ (سورة الرعد،الآية:٢٨)، وقال أيضاً:ژ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮﭯ ﭰژ(سورة الأنفال،الآية:٢) يقول الشيخ:" فأما استخدام الرقص والطبل والزمر والغناء، فيما يسمي (حلقات الذكر)، فليس من دين الله (قولاً واحداً) سواء عند أئمة الصوفية، أو غير الصوفية، وإنما هو من الدخيل والدسيس الذي تسرب إلي التصوف، فأفسده، وأساء إليه، يقول شاعر الصوفية:

يا عصبة ماضر أمة أحمـــد .. وسعي علي إفسادها إلا هي
طار ، ومزمار، ونغمة شـــادن .. أتكون قط عبادة بملاهي" [٥] .

وما أروع وأجل مما يقول الشيخ عن ذلك في أبيات من قصيدته " هذا تصوف المسلمين " :-

ليس التصوف رقص الراقصين ولا .. طبل وزمر وتصخاب [٦] وتهييج
ولا هو الذكر بالألفاظ ساذجـــة .. محرفات ولا صعق [٧] وتشنيج
ولا مواكب رايات ملونـــة .. فيها لما يغضب الديان ترويـج
ولا العمة الكبري ولا سبــح .. حول الرقاب ، ولا جمع مفاليج
ولا التعطل أو دعوي الولايــة أو .. صنع الخوارق ، أو كذب وتدبيج [١]

---

(١) هو رائد العشيرة المحمدية ومؤسسها رسميا سنة ١٩٣٠م ، لتكون وسيلته للدعوة الإصلاحية الإسلامية الصوفية، وقد عمل عضواً في الهيئة العليا للدعوة بالأزهر، وقام بعدة مؤتمرات من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية، عرضت عليه مشيخة الطرق الصوفية فأبي وقال: ما سرني أن صرت شيخاً لطبال وزمار ، ت ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، انظر منتدي الصوفية للتراجم والمناقب ، الشبكة العنكبوتية – تاريخ الزيارة ٨/ ٢/ ٢٠١٠م .

(٢) يقول الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت: " أما الذكر بكلمة "أه" فهي لفظ مهمل، ليس له معني في اللغة العربية، وليس قطعاً من أسماء الله الحسني التي وردت في الكتاب ، أو صح ورودها عن الرسول ﷺ، وذكر الله عبادة، ولا يصح لنا أن نعبده إلا بما أذن لنا أن نعبده به، انظر الفتاوي ص ١٩٧، دار الشروق ط٦ سنة ١٩٧٢م .

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن الصغير الأخضري الجزائري المالكي، كان متين الديانة علماً وزهداً وورعا، وله الكثير من المنظومات في فنون العلم المختلفة ت ٩٨٣هـ ، انظر إسماعيل باشا البغدادي ، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ٥/ ٥٤٦، ٥٤٧ ، دار الكتب العلمية – بيروت سنة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

(٤) محمد زكي إبراهيم ، أبجدية التصوف الإسلامي بعض ماله وما عليه ص ٥٠ باختصار ، مطبوعات العشيرة المحمدية ، ط٥، .

(٥) نفس المصدر ص ٤٧، ٤٨ باختصار .

(٦) اصطخب القوم: تصايحوا، المعجم الوجيز ص ٣٦٠ ، سنة ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .

(٧) صعق الرجل ، بكسر العين: غشي عليه، انظر مختار الصحاح ص ٣٦٣ .

إن التصوف فقه الدين قاطبـــة .. والفقه بالدين توثيق وتخريج
إن التصوف (تحقيق الخلافــة في .. أرض الإله) وإلا فهو تهريج [٢] .

٤- ويبدو أن استخدام الرقص أو الدوران الذي يقع من بعض المتصوفة أثناء حلق الذكر بات محل سخط واعتراض وتذمر ليس من شيوخ التصوف فحسب ، وإنما حتى من المائلين إلي نصرة المذهب وأتباعه ، فهذا هو الدكتور البوطي [٣]، ينتقد علي طوائف من المتصوفة وقعت في هذه المنكرات، وتلوثت بهذه المحرمات يقول: " وقد اختلق بعضهم زيادة علي الحديث (يقصد حديث تقديم أبي بكر ماله كله للرسول ﷺ)، وأنه أجابه حينما سأله، ما أبقيت لأهلك: " أبقيت لهم الله ورسوله" [٤]: أن النبي ﷺ قال له: يا أبا بكر، إن الله راض عنك فهل أنت راض عنه؟ فاستفزه السرور والوجد، ، وقام يرقص أمام رسول الله ﷺ قائلاً: كيف لا أرضي عن الله ؟! " ثم ذهبوا يجعلون من هذه الزيادة المختلقة دليلاً علي مشروعية الرقص والدوران، في حلق الذكر علي نحو ما يفعل " المولوية" [٥] وطوائف أخري من المتصوفة .

فأما الدليل الذي يستندون إليه، فهو دليل مختلق، وأما المدلول ، فلا نقول: إنه لم يثبت عليه، بل الحق الذي ينبغي أن يقال: إن الدليل قد ثبت علي حرمته ثم ذكر رأي الجمهور ليقطع دابر الألسنة المتكلمة في المسألة فقال: " ذهب الجمهور إلي أن الرقص محرم، إن كان مع التثني [٦]، واتفقوا علي أنه مكروه إن كان بدون ذلك" ثم قال معقباً: " فإدخال الرقص – مهما كانت كيفيته – في ذكر الله ـ تعالي ـ إقحام لما هو مكروه أو محرم في عبادة مشروعة، وتحويل له بذلك إلي عبادة يتقرب بها إلي الله دون دليل عليها، أضف إلي ذلك ما يتلبس به حال هؤلاء (الذاكرين) من التفوه بأصوات ليست من ألفاظ الذكر في شئ، وإنما هي حمحمات وهمهمات تصاعد من حلوقهم، ليتكون منها دوي متناسق معين ينسجم مع تواقيع المنشدين والمطربين، فتحـدث بذلك مزيداً من النشوة والطـرب في النفوس، فكيف يكون هذا ذكراً لله – تعالي ـ ، وكيف يكون هذا العمل عبادة، ثم نظر " البوطي" إلي مبتدعة الرقص في الذكر نظرة كلها ازدراء واستهجان لما يفعلونه فيقول: " فكم من محرمات استحلوها، ومن موبقات ارتكبوها، باسم الوجد أو التواجد آناً، وباسم الانعتاق من ربقة التكاليف آناً آخر [٧].

وقد يتعجب القارئ من موقف الدكتور " البوطي" من هذه القضية، لشهرته أنه ميال إلي المتصوفة، ولكنه سعي حثيثاً لإزالة أي عجب يكتنف نفوس قارئيه ومحبيه، ونري أن ما قاله من سبب جدير بالقبول، وجدير أن تختم به كلامنا، بل ويعمم في جميع نقاط بحثنا هذا، يقول: " قد يعجب البعض من أني أنكر علي الوهابية [٨] الكثير من آرائهم، مع ما أفعله هنا من الانحياز إليهم، لاستنكار ما يراه الآخرون (يقصد الصوفية) ولا ريب أن هذا العجب إنما هو نتيجة تصور خاطئ لما ينبغي أن يكون عليه حال المسلم ، فليس من الإسلام في شئ أن يتحول لدينا البحث العلمي في العقل إلي عصبية مستحكمة في النفس، وهيهات أن يكون من الإسلام في شئ ما يفعله بعضهم من الانتصار لما عرف به من مذهب ورأي، مصطنعاً بذلك الانتصار للإسلام، وهو يعلم في قرارة نفسه أنه إنما ينتصر للرأي الذي أصبح جزءاً من شخصيته وكيانه بين الناس، لا ينبغي للمسلم (لدي البحث العلمي)، أن يضع أي شئ نصب عينيه إلا كتاب الله وسنة رسوله ، ولا يجوز له أن يدع أي سلطان من دون سلطانهما يتسلل بالتأثير علي نفسه وفكره، وإذا كنت أبحث الآن في مسألة انتهيت فيها إلي موافقة أولئك البعض (الوهابية)، ومخالفة كثير من عوام المسلمين أو المتصوفة فيهم، فليس ذلك حباً بمخالفتهم أو شهرة لنقدهم، ولكن رغبة خالصة في أن لا أحيد عن كتاب الله وسنة رسوله، مع تقديري لكثير من

---

(١) دبج الشئ – دبجاً: زينه ونقشه ، انظر المعجم الوجيز ص ٢١٩ .

(٢) المسلم، ص ٣٨ ، مجلة العشيرة المحمدية، السنة ٤٩، العدد (١) ، رجب ١٤٢٥هـ – أغسطس – سبتمبر ٢٠٠٤م .

(٣) كاتب وداعية سوري معاصر، من مواليد عام ١٩٢٩م ، حصل علي شهادة الدكتوراة من كلية الشريعة – جامعة الأزهر الشريف .

(٤) رواه الترمذي ،كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما– ٥/ ٦١٤ برقم ٣٦٧٥ ، وقال: هذا حديث حسن صحيح، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تحقيق/ أحمد محمد شاكر وآخرون .

(٥) أنشأها الشاعر الفارسي جلال الدين الرومي (ت ٦٧٢هـ) يتميزون بإدخال الرقص والإيقاعات في حلقات الذكر، وقد انتشروا في تركيا وآسيا الغربية، انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٣٤٨ .

(٦) انثني في مشيته: تمايل ، انظر المعجم الوجيز، مادة ثني ص ٨٨ .

(٧) د/ محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، باختصار يسير، دار السلام، القاهرة ، ط١٩ سنة ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م .

(٨) أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب – ~ – .

هؤلاء السادة(الصوفية)، ويقيني بصلاحهم وصفاء نياتهم، وعذري أن هذا التقدير لا يسوغ تجاوز النصوص أو القواعد أو التأويل لها .

ولو بحث المسلمون عن الحق الذي يجب اتباعه، عن طريق هذا الميزان ، لما قامت فئات تتخاصم وتتجافي عن بعضها، رغم ما قد يقع بينها من خلاف في الرأي والاجتهاد، ولكن العصبية والغلو هما اللذان أوديا بالمسلمين إلي هذا الذي نراه ، يحاسب المتصوفة خصومهم علي ما يرونه عندهم من تطرف وغلو، ولا يحاسبون أنفسهم علي ما يتلبسون به هم من الغلو والبدع التي لا وجه في الإسلام يسوغها، أفهذا هو الحق الذي ينبغي أن يكون ؟!!! ؟ [١]

([١]) فقه السيرة ص ٣٠٣ ، هامش ١١٠، باختصار .

المبحث الثاني: النقد الذاتي للتصوف نموذجاً (عقيدة الحلول)
بعد ذلك الاستعراض للنقد الذاتي للتصوف عبر القرون والأزمنة، وذكر أمثلة علي ذلك من كل شخصية حسب البيئة التي يعيش فيها، أشفع ذلك بإلقاء الضوء علي عقيدة رفضها الفكر الصوفي الصحيح، ولفظها الاتجاه الصوفي السليم، وحاربها الشيوخ الكبار، إنها عقيدة الحلول والاتحاد، وسيكون حديثنا عنها كالآتي:
المطلب الأول: تعريف الحلول والاتحاد والفرق بينهما
من الغلطات الكثيرة في أصول الدين التي انحرف بها بعض الصوفية ، وانتقدها شيوخهم الكبار " عقيدة الحلول" ، والحلول لغة هو: مصدر للفعل "✍□◆➔✍❻ ⬀ " بضم الحاء، وحل العذاب يحل بالضم" أي نزل، قال تعالي: ﮋﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﮊ (سورة الرعد،الآية:٣١)، أي تنزل،والمحل: المكان الذي يحل به [١] ومعنى حل في المكان! نزل، وحط، ورضي، وثبت، ورسخ، وحل، وأناخ، وبرك، وأقام [٢] .
وعرفه الرازي [٣] بقوله:هو نزول شئ في شئ آخر [٤]، وبمعنى أوضح: أن يحصل جسم أو متحيز في شئ، فيكون الحاصل: حالاً، والمحصول فيه: محلاً، وتسمي النسبة بينهما: حلولاً [٥]، أما بالاصطلاح العقائدي فهو يعني: حلول الله ـ تعالي ـ في مخلوقاته، أو في بعض مخلوقاته .
والحلولية علي وجهين أحدهما: أهل الحلول الخاص، كالنصارى واعتقادهم في المسيح – عليه السلام – والغالية من هذه الأمة الذين يقولون بالحلول إما في علي [٦] - رضي الله عنه - وإما في غيره، والثاني: القائلون بالحلول العام، الذين يقولون بالحلول في جميع المخلوقات، أي أن الله بذاته حال في كل شئ، وهؤلاء مثل قدماء الجهمية [٧] .
وقرين الحلول، الاتحاد ويعني: امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئاً واحداً [٨]، وفي الاصطلاح العقائدي: اتحاد الله بمخلوقاته أو ببعض مخلوقاته، وهناك فرق بين الحلول والاتحاد .
١- الحلول فيه إثبات لوجودين، بخلاف الاتحاد فهو إثبات لوجود واحد .
٢- الحلول يقبل الانفصال، بخلاف الاتحاد فهو لا يقبل الانفصال .
وإذا أردنا مثالاً لنشعر بالفرق بينهما أقول: السكر إذا وضعته في الماء دون تحريك فهو حلول، أما إذا حركته فذاب في الماء صار اتحاداً، لأنه لا يقبل أن ينفصل مرة أخري [٩] .
ولم يرد في القرآن الكريم والسنة النبوية ما يفيد أن الله ـ تعالي ـ حل في خلقه، أو أنه اصطفي أجساماً حل فيها، كما أجمع العلماء علي استحالة حلول الخالق – جل شأنه في المخلوقات، وفي مفتتح سورة الفاتحة التي يرددها المسلم كل يوم – في صلاته المفروضة- سبع عشرة مرة، إبطال لعقيدة الحلول، قال تعالي: ﮋﭒ ﭓ ﭔ ﭕﮊ (سورة الفاتحة،الآية: ٢)، فهذه الآية (تدل علي أن ذاته منزهة عن الحلول في المحل، لأنه لما كان رباً للعالمين ، كان خالقاً لكل ما سواه، والخالق سابق علي المخلوق، فكانت ذاته ـ تعالي ـ موجودة قبل كل محل، فكانت ذاته غنية عن كل محل، فبعد وجود المحل امتنع احتياجه إلي المحل) [١٠] وكيف يسوغ لعاقل أن يقول بهذا الاعتقاد الفاسد مع قوله – تعالي ـ ﴿ ✂︎❷□▪︎⬀□ⅡⅠ➔ ✂︎◆✍■❼ ✂︎➔❷⬀◷⬁ ✂︎⬄⬀◆□◆❽▤ ⬀⬀⬀ ﴾ (سورة طه،

([١]) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح ، ص ١٥٠ ، ١٥١.

([٢]) محمد بن عبد الملك بن مالك الطائي، الألفاظ المؤتلفة ص ١٧٤، تحقيق د/ محمد حسن عواد، دار الجيل، بيروت، ط١ سنة ١٤١١هـ .

([٣]) هو محمد بن محمد الرازي التحتاني المتوفي سنة ٧٦٦هـ .

([٤]) محمد بن محمد الرازي التحتاني، ذكر الفرق التي غلطت في الإباحة والحلول والاتحاد والتجسيم وبيان دعواهم والرد عليهم ص ٦٧ ، مطبعة الحسين الإسلامية، ط٢، سنة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، تحقيق د/ حسن جبر شقير.

([٥]) محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الإعلام بما في دين النصارى من أوهام ص ١٣٠ ، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة، سنة ١٣٩٨ هـ .

([٦]) هو ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته فاطمة رضي الله عنها، ووالد الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة .

([٧]) أحمد بن تيمية، درء تعارض العقل والنقل ٦/ ١٥٢، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، وانظر مجموعة الفتاوي ٢/ ٢٨١، والجهمية هم أصحاب جهم بن صفوان، وأهل السنة يكفرونه هو وأتباعه . انظر فخر الدين الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ١٠٣، ١٠٤ ، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة- سنة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م ، تحقيق / طه عبد الرؤوف سعد، مصطفي الهواري .

([٨]) السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات ص ٤، انظر / محمد عبد الرؤوف المناوي ، التعاريف ص ٣١ – تحقيق د/ محمد رضوان الدايه، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط١ سنة ١٤١٠هـ

([٩]) محمد بن إبراهيم الحمد، مصطلحات في كتب العقائد ص ٤١، عن شبكة الانترنت ، مجلس العقيدة، تاريخ الزيارة ١٤/ ١/ ٢٠١٠م .

([١٠]) الرازي – التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب ١/ ١٥١، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ سنة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .

الآية:٥)، وقوله تعالي: ژ ۑ ۑ ے ے ئا ئا ئه ژ(سورة فاطر، الآية:١٠)، وكيف يصعد إليه شئ هو معه، أو يرفع إليه عمل هو عنده، فالله ـ تعالي ـ هو العلي، الأعلى، وأن القلوب عند الذكر تسمو نحوه، والأيدي ترفع بالدعاء إليه (١) .
ومن أدلة المباينة: أن لله ـ ﷻ ـ حجاباً من نور، كما ثبت ذلك عن أبي موسي الأشعري (٢) ﵁ أنه – قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: إن الله ﷻ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، وفي روايــة " النار" ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه، ما انتهي إليه بصره من خلقه (٣)، ولذلك قال ابن خزيمة(٤):من لم يقر بأن الله ـ تعالي ـ علي عرشه، قد استوي فوق سبع سمواته، فهو كافر به، يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه " (٥) .
وعلي الرغم من كل ذلك إلا أنه قد ظهرت في الإسلام طائفة الحلولية، سواء أهل الحلول العام، مثل قدماء الجهمية الذين رأوا أن معبودهم في كل مكان بذاته، أو أهل الحلول الخاص، الذين رأوا أن معبودهم في شخص بذاته، أو في شئ بذاته، قال البغدادي (٦) ـ بعد أن عد منهم عشر فرق: وتفصيل فرقهم في الأكثر يرجع إلي غلاة الروافض (٧) .

المطلب الثاني: الحلولية من الصوفية

وانتقلت تلك العقيدة إلي غلاة الصوفية، يقول أبو الحسن الأشعري (٨): " وفي الأمة قوم ينتحلون النسك ، يزعمون أنه جائز علي الله سبحانه الحلول في الأجسام، وإذا رأوا شيئاً يستحسنونه قالوا: لا ندري لعله ربنا (٩)، ويقول " السيوطي" (١٠): بعض المتصوفة قالوا: إن السالك إذا أمعن في السلوك وخاض معظم لجة الوصول، فربما يحل الله فيه كالنار في الجمر، بحيث لا تمايز، أو يتحد به، بحيث لا اثنينية ولا تغاير، وصح أن يقول: هو أنا ، وأنا هو" (١١)، وعد الرازي (١٢)" الحلولية" فرقة من فرق الصوفية، ويصفهم بأنهم ليس لهم من العلوم العقلية نصيب (١٣)، ولم يذكر لنا أحداً من أسمائهم، ولكن " البغدادي" (١٤) في طي ذكره لفرق الحلولية ذكر" الحلاجية"(١)، والحلاجية هي إحدى فرق الصوفية

---

(١) ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم) ، تأويل مختلف الحديث ص ٢٧١، باختصار تحقيق/ محمد زهري النجار – دار الجيل – بيروت سنة ١٣٩٣هـ – ١٩٧٢م، حافظ حكمي – معارج القبول ١/ ١٩٤باختصار ، تحقيق/ عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام ط١ سنة ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

(٢) اسمه عبد الله بن قيس بن سليم،من أصحاب رسول الله ﷺ، انظر ابن حجر العسقلاني،الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٢١١، دار الجيل، بيروت، ط١ سنة ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م ، تحقيق/ علي محمد البجاوي .

(٣) صحيح مسلم،كتاب الإيمان ، ب: في قوله ﷺ إن الله لا ينام، ١/ ١٦١، برقم ١٧٩ .

(٤) هو محمد بن اسحاق بن خزيمة الحافظ الحجة شيخ الإسلام وإمام الأئمة ت ٣١١هـ ، انظر شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٦٥.

(٥) ابن قدامة المقدسي – إثبات صفة العلو ص ١٢٧، تحقيق/ بدر عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، ط١ سنة ١٤٠٦هـ .

(٦) هو أبو منصور عبد القاهر بن محمد البغدادي الفقيه الشافعي الأصولي ت ٤٢٩هـ، انظر وفيات الأعيان ٣/ ٢٠٣ .

(٧) الفرق بين الفرق ص ٢٤١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، سنة ١٩٧٧م، والروافض سموا بذلك الاسم لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب خرج علي هشام بن عبد الملك فطعن عسكره في أبي بكر فمنعهم من ذلك فرفضوه ولم يبق معه إلا مئتا فارس فقال لهم : رفضتموني، قالوا نعم، فبقي عليهم هذا الاسم، وحكم الغلاة منهم علي الأئمة أنهم آلهة ، انظر اعتقادات فرق المسلمين ٧٧، ٨٦ .

(٨) هو إمام المتكلمين أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري اليماني البصري ، ت ٣٢٤هـ ، انظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٨٦ .

(٩) أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ص ٢٨٨ تحقيق/ هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط٣، د.ت .

(١٠) هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١ هـ انظر مصطفي بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١/ ٥٦، دار الكتب العلمية ، بيروت، سنة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

(١١) جلال الدين السيوطي، الحاوي للفتاوي ٢/ ١٢٨، تحقيق/ عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط١ سنة ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .

(١٢) هو فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي ت ٦٠٦هـ .

(١٣) فخر الدين الرازي ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ١١٦ .

(٢) سبقت ترجمته .

التي يترأسها " الحسين بن منصور الحلاج" (٢)، وإن كان "الهجويري" (٣) يري براءته من تلك التهمة،حيث إن كتبه – كما زعم - ليس فيها شئ سوي التحقيق (٤).

ومن بين قائمة الصوفية التي اتهمت بأن أقوالها تدور بين الحلول والاتحاد "أبي يزيد البسطامي" (٥) وإن كنت لا أري هذا الرأي، لأن شطح أبي يزيد قاله وهو في حالة سكر، وقد برأه الجنيد وهو سيد الطائفة آنذاك، بل شرح كلامه ووضح غامضه، وجمع ذلك " الطوسي" في اللمع (٦)، هذا بخلاف أن له أقوالاً حسنة في التمسك بالكتاب والسنة، قال صاحب سير أعلام النبلاء: جاء عنه أشياء مشكلة لا مساغ لها، الشأن في ثبوتها عنه، أو أنه قالها في حالة الدهشة والسكر ، فيطوي ولا يحتج بها (٧) .

كذلك ممن اتهم عند البعض بالقول بالحلول والاتحاد "ابن عربي،وابن سبعين (٨)،وابن الفارض (٩)، والقونوي (١٠)، والتلمساني (١١)، وذلك علي أنهم من القائلين بوحدة الوجود (١٢)، الذي صدر عن أصل باطل **يخالف دين الإسلام، وهو الحلول والاتحاد (١٣) ولكن لأن "الحلاج" كان نقطة انطلاق لأصحاب مذهب وحدة الوجود، فهذه النظرية الفلسفية في تفسير الوجود مدينة لأفكار الحلاج بشكل أو بآخر، وهذا ما يشير إليه نيكلسون (١٤) بعد أن تحدث عن رفض المسلمين لفكر الحلاج، يقول" ومع كل هذا يدين التصوف الإسلامي للحلاج بدين لا يمكن تقديره، فإن مذهبه هذا الذي رفضه المسلمون هو الذي أدخل في الإسلام تلك الفكرة التي أحدثت فيه انقلاباً عظيماً، أعني فكرة الكثرة في الوحدة المطلقة، أو مبدأ التغاير في الوحدة (١٥)، فمن أجل ذلك آثرت أن أتحدث عن " الحلاج" وأقواله في الحلول في الأسطر التالية:**

المطلــب الثالــث: الحـــلاج

---

(١) انظر الفرق بين الفرق ص ٢٤١، ٢٤٦، ٣٥٠ .

(٤) سأعود إلي الحديث عنه بعد قليل .

(٣) سبقت ترجمته .

(٦) كشف المحجوب ٢/ ٥٠١ .

(٥) هو طيفور بن عيسي بن شروسان البسطامي، أحد صوفية القرن الثالث الهجري ت ٢٦١هـ ، انظر عنه أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية ص ٦٧، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ط٢ سنة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، تحقيق/ مصطفي عبد القادر عطا .

(٦)ص ٣٢٥ إلي ٣٣٧ .

(٩) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٨٨ .

(٨) هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين ، كان صوفيا علي قاعدة زهد الفلاسفة وتصوفهم ت ٦٦٩هـ ، انظر شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ٤٩/ ٢٨٤ تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي ، لبنان، بيروت، ط١ سنة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

(٩) هو أبو حفص عمر بن أبي الحسن الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، المعروف بابن الفارض، له قصيدة مقدار ستمائة بيت علي اصطلاح الصوفية ومنهجهم، ت ٦٣٢هـ ، انظر أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٣/ ٤٥٤، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة ، لبنان ، د.ت .

(١٠) هو أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف الرومي، الصوفي علي مذهب أهل الوحدة، صحب ابن عربي، وصار شيخ الاتحادية بقونية ت ٦٧٢هـ ، انظر تاريخ الإسلام، الذهبي ٥٠/ ٩٢ .

(١١) انظر ابن تيمية، مجموع الفتاوي ٢/ ٢٠٩ ، والتلمساني هو أبو الربيع عفيف الدين سليمان بن علي، المعروف بعفيف الدين التلمساني ت ٦٩٠هـ ، انظر د/ يوسف زيدان، ديوان عفيف الدين التلمساني ١/ ١٣: ٢١ ، أخبار اليوم، إدارة الكتب والمكتبات .

(١٢) ومذهب وحدة الوجود يعني عند أصحابه أنه لا موجود علي الحقيقة إلا الله، فهو وجود واحد، وأما ما نراه من الكثرة المشاهدة في هذا العالم فهو وهم علي التحقيق تحكم به العقول القاصرة ، علي أن من أصحاب وحدة الوجود كابن عربي، من يفسح المجال للقول بوجود الممكنات والمخلوقات علي نحو ما ، ومنهم من يطلق القول بالوحدة، ويعني في ذلك إلي الحد الذي يجعله لا يثبت إلا وجود الله فقط، وهؤلاء هم أصحاب الوحدة المطلقة، وعلي رأسهم ابن سبعين ، انظر د/ حسن الشافعي ، د/ أبو اليزيد العجمي، في التصوف الإسلامي ص ١٢٩، مرجع سابق .

(١٣) د/ محمد مصطفي حلمي – الحياة الروحية في الإسلام ص ١٩٠ بتصرف كبير، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٤م .

(١٤) هو رينولد ألين نيكلسون (١٨٦٨ – ١٩٤٥م) ، مستشرق انجليزي، له ميل إلي دراسة التصوف (العقيقي، المستشرقون ٢/ ٥٢٥) دار المعارف، ط٤، د.ت .

(١٥) نيكلسون، في التصوف الإسلامي وتاريخه ص ٨٥، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة سنة ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م ، ترجمة د/ أبو العلا عفيفي ، وفي التصوف الإسلامي د/ الشافعي، د/ العجمي ص ١٢٨، ووجدت الإمام الشوكاني أشار إلي ذلك قبلهم في مصنفه الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد ص ٣٢، تحقيق/ محمد صبحي حسن الخلاق، دار الهجرة/ صنعاء ، اليمن ، ط١ سنة ١٤١١هـ – ١٩٩٠م .

(٣) سبقت ترجمته .

هو الحسين بن منصور الحلاج، من مدينة بيضاء بفارس، نشأ بواسط ، وقيل بتستر، وقدم بغداد ، فخالط الصوفية، وصحب من مشيختهم الجنيد بن محمد (١)، وأبا الحسين النوري (٢)، وعمرو المكي (٣)، وتعبد فبالغ في المجاهدة والترهب، وسافر إلي الهند، وجال في خراسان وبلاد ما وراء النهر (٤)، وفي سنة ٢٩٩هـ ادعي للناس أنه إله، وأنه يقول بحلول اللاهوت في الناسوت (٥)، وفي سنة ٣٠١هـ قبض الراسبي أمير الأهواز علي الحلاج، وكتب إلي بغداد يذكر أن البينة قامت عنده أن الحلاج يدعي الربوبية ويقول بالحلول (٦)، فأدخل الحلاج بغداد مشهوراً علي جمل، وعلق مصلوبا، ونودي: هذا أحد دعاة القرامطة (٧) فاعرفوه، ثم حبس (٨)، وفي سنة ٣٠٩هـ قتل بإجماع فقهاء عصره (٩)، خلا ابن سريج الشافعي (١٠)، الذي قال: هذا رجل خفي عني حاله، وما أقول فيه شيئاً (١١)، وكان قتله في عهد الخليفة المقتدر (١٢)،والقاضي أبي عمر محمد بن يوسف (١٣)،بعد تقريره علي مذهبه،وقيام الشهادات عليه بإلحاد (١٤)، ولما أخرج ليقتل قال لأصحابه: لا يهولنكم هذا فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يوماً (١٥)، فضرب تمام الألف سوط، ثم قطعت يده ثم رجله ثم يده ثم رجله، وحز رأسه، وأحرقت جثته (١٦)، وكان يقرأ في وقت الصلب ﴿ [illegible] ﴾ (سورة النساء، الآية: ١٥٧) (١٧) .

وأكثر المتكلمين علي أن الحلاج من الحلولية، وقالوا عنه إنه قال: من هذب نفسه في الطاعة، وصبر علي اللذات والشهوات ارتقي إلي مقام المقربين، ثم لا يزال يصفو ويرتقي في درجات المصافاة، حتى يصفو عن البشرية، فإذا لم يبق فيه من البشرية حظ حل فيه روح الإله (١٨)، وأحياناً يكسو الحلول بعبارات التصوف، ليتوهم البعض أن ذلك مما لا

---

(٢) هو أبو الحسين أحمد بن محمد النوري، بغدادى المولد والمنشأ، وكان كبير الشأن ت ٢٩٥هـ ، انظر الرسالة القشيرية ص ٨٨ .

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ١١٢/٨، دار الكتب العلمية ، بيروت، د.ت ، وعمرو المكي هو عمرو بن عثمان المكي، وكنيته أبو عبد الله، وهو عالم بعلوم الأصول ، وروي الحديث، ت ٢٩١هـ ، انظر طبقات الصوفية ص ١٦٢ .

(٤) شمس الدين الذهبي ، العبر في خبر من غبر ٢/ ١٤٤، مطبعة حكومة الكويت، ط٢ سنة ١٩٨٤م ، تحقيق د/ صلاح الدين المنجد .

(٥) وفيات الأعيان ٢/ ١٤٢ .

(٦) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ٢/ ٢٥٥، دارابن كثير، دمشق، ط١ سنة ١٤٠٦هـ ، تحقيق / عبد القادر الأرنؤوط ، محمود الأرنؤوط .

(٧) هي حركة باطنية هدامة، اعتمدت التنظيم السري العسكري، ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها الإلحاد والإباحية، تنسب إلي حمدان قرمط الذي نشرها في سواد الكوفة سنة ٢٧٨هـ ، انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٣٩٥، الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض .

(٨) العبر ٢/ ١٢٢، ١٢٣، وشذرات الذهب ٢/ ٢٣٣ .

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٤/ ٣٣١ .

(١٠) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج، شيخ الشافعية، ولقب بالباز الأشهب ت ٣٠٦هـ ، انظر عبد الله بن أسعد اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٢/ ٢٤٦ ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

(١١) وفيات الأعيان ٢/ ١٤٤ .

(١٢) هو أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم العباسي، قتل سنة ٣٢٠هـ ، انظر مرآة الجنان ٢/ ٢٧٩ .

(١٣) هو ابن عم القاضي إسماعيل بن إسحاق الذي حوكم الصوفية في عهده، وبعد موته تولي القضاء ابن عمه أبو عمر محمد بن يوسف، انظر الحسن بن عبد الله البناهي المالقي ، تاريخ قضاة الأندلس ص ٣٦، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط٥ سنة ١٤٠٣هـ. ١٩٨٣م، تحقيق لجنة التراث .

(١٤) نفس المصدر والموضع .

(١٥) تاريخ بغداد ٨/ ١٣١، وابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ١٣/ ٢٠٦، دار صادر بيروت، ط١ سنة ١٣٥٨هـ ، وقال:- هذا إسناد صحيح لا شك فيه.

(٥) تاريخ بغداد ٨/ ١٤٠ .

(١٧) أبو حامد الغزالي، فضائح الباطنية، ص ١٠٩ ، دار الكتب الثقافية، الكويت، تحقيق: د/ عبد الرحمن بدوي .

(١٨) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ١١٦ هامش (١) ، والفرق بين الفرق ص ٢٤٨ .

بأس به في التصوف، ويستنط ذلك من كتبه التي كان يرسل بها إلي أتباعه، يقول أبو بكر بن ممشاذ [١]: حضر عندنا بالدينور [٢] رجل معه مخلاة، ففتشوها فوجدوا فيها كتاباً للحلاج، عنوانه " من الرحمن الرحيم إلي فلان بن فلان" فبعث بالكتاب إلي بغداد، فأحضر وعرض عليه، فقال: هذا خطي، وأنا كتبته فقالوا له: كنت تدعي النبوة، صرت تدعي الربوبية، قال: لا ولكن هذا عين الجمع [٣]عندنا، هل الكاتب إلا الله وأنا [٤] .

فمما لا شك فيه أن الحلاج له أقوال صريحة في "الحلول" صادم بها مشاعر المسلمين نحو عقيدتهم، ولا أدل علي ذلك من مقالته المشهورة في مصنفه " الطواسين" والتي قال فيها" أنا الحق" [٥] هذه المقالة التي أعلن فيها – كما ذكر الدكتور/ محمد مصطفي حلمي- اتحاده بالذات الإلهية، زعم أنه أصبح وهذه الذات شيئاً واحداً [٦]، ومما قال شعراً في عقيدته :

أنا من أهوي، ومن أهوي أنا .. نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرتــه .. وإذا أبصرته أبصرتنا [٧] .

ويقول :

مزجت روحك في روحي ، كما .. تمزج الخمرة في الماء الزلال
فـــإذا مسك شئ مسنــي .. فإذا أنت أنا في كل حـــال [٨] .

ويقول:

أنت بين الشغاف والقلب تجري .. مثل جري الدموع في الأجفان
وتحل الضمير جـوف فؤادي .. كحلول الأرواح في الأبـدان [٩] .

تلك الأقوال التي وصفها د/أبو العلا عفيفي، أنها أقوال جريئة، جرت علي لسان صوفي مسلم [١٠]، ويقطع د/ أبو الوفا التفتازاني: أن الحلاج صرح فيها بلفظ الحلول، ويعني به حلول الطبيعة الإلهية في الطبيعة الإنسانية، أو تعبير آخر اصطلاحي عنده، حلول اللاهوت في الناسوت [١١]، ثم قال: ويتضمن الحلول عند الحلاج: فناء الإرادة الإنسانية تماماً في الإرادة الإلهية، بحيث يصبح كل فعل صادر عن الإنسان صادراً عن الله، فالإنسان عنده " كما لا يملك أصل فعله، كذلك لا يملك فعله" [١٢] .

ولكن مع ذلك يبدو في مذهب الحلاج في الحلول تناقض أو تردد، فهو – أحياناً – يقول بالحلول مع الامتزاج ـ كما مر ـ ، وأحياناً أخري ينفي الامتزاج، ويعلن التنزيه صراحة، وهذا في مثل قولــه: " من ظن أن الإلهية تمتزج بالبشرية، والبشرية بالإلهية، فقد كفر، فإن الله تفرد بذاته وصفاته عن ذوات الخلق وصفاتهم، ولا يشبههم بوجه من الوجوه، ولا يشبهونه" [١٣]، ومن أقواله المنزهة لله ـ تعالي ـ عن الحلول في الأجسام قوله: " ألزم الكل الحدث ، لأن القدم له، فالذي

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن ممشاذ يعرف بالقنديل ت ٣٤٩هـ أو ٣٥٠ هـ ، انظر أبو نعيم الأصبهاني، تاريخ أصبهان ٢/ ٢٥٦، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ سنة ١٤١٠هـ – ١٩٩٠ م ، تحقيق/ سيد كسروي حسن .

(٢) مدينة كثيرة الزروع والثمار، بينها وبين همذان نيف وعشرون فرسخا، انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٢/ ٥٤٥ ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت .

(٣) يقول القشيري: ما يكون من قبل الحق من إبداء معان وإسداء لطف وإحسان فهو جمع ، أي من أشهده الحق سبحانه ما يوليه من أفعال نفسه فهو عبد يشاهد الجمع ، انظر الرسالة القشيرية ص ١٢٦ باختصار .

(٤) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٨/ ١٢٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٢٧، وشذرات الذهب ٢/ ٢٥٧ .

(٥) الحسين بن منصور الحلاج، الطواسين ص ٣٤ ، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، تحقيق/ محيي الدين الطعمي ، د.ت.

(٦) د/ محمد مصطفي حلمي، الحياة الروحية في الإسلام ص ١٣٧، ١٣٨

(٧) مرآة الجنان ٢/ ٢٥٥، ووفيات الأعيان ٢/ ١٤١ . (٤) تاريخ بغداد ٨/ ١١٥ ، وابن كثير – البداية والنهاية ١١/ ١٣٣ .

(٩) أبو عبد الرحمن السلمي ، طبقات الصوفية ص ٢٣٨ .

(١٠) التصوف الثورة الروحية في الإسلام ص ١٤٣، دار المعارف ، مصر ، د. ت .

(١١) د/ أبو الوفا التفتازاني، مدخل إلي التصوف ص ١٢٧ .

(١٢) المصدر السابق ، من نفس الموضع، وطبقات الصوفية ص ٢٣٩ .

(١٣) ماسينيون ، أخبار الحلاج ص ٢٨ ، نقلاً عن مدخل إلي التصوف ص ١٢٨، وانظر الرازي، ذكر الفرق التي غلطت في الإباحة والحلول والاتحاد والتجسيم ، ص ٨١، هامش ١٠ .

بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه (١)، ومن أحسن ما يحمل عليه هذا الكلام: أن قائله أراد به إبطال مذهب الاتحاد والحلول، وظهور اللاهوت في الناسوت، وأن الرب سبحانه – ليس حالاً في شئ من المخلوقات، ولا يظهر في شئ من الأجسام المصنوعات، فقوله " ألزم الكل الحدث" أي جعله لازماً لهم، لا يفارقهم ، فلا يصير المحدث قديماً (٢) .
وهكذا اختلفت الأقوال عنه، فهو هنا ينظر إلي اللاهوت والناسوت، أو الرب والعبد، أو المحب والمحبوب، علي أنهما شيئان متمايزان في ذاتهما وحقيقتهما ، بقدر ما كان هناك حلولياً واتحادياً معاً ، يري أن الذات الإلهية يمكن أن تحل في الذات الإنسانية علي وجه تمتزج فيه الذاتان، بحيث تصيران ذاتاً واحدة، ومع ذلك فإنه حاول بعض العلماء رفع هذا التناقض، فقال: الحلاج حلولي، وحلولي صريح في أغلب نواحي مذهبه، يري أن اللاهوت يمكن أن يحل في الناسوت إذا تهيأ لهذا الأخير حظ من الفناء النفسي، والصفاء الروحي، وهنالك يصدر الإنسان في أفعاله عن الإرادة الإلهية، لا عن إرادته الإنسانية، دون أن يترتب علي ذلك أن يكون الإنسان عين الله، أو أن يكون الله عين الإنسان (٣)، وعلى ذلك يري د/ التفتازاني ـ أن الحلول عند الحلاج مجازي ، وليس حقيقياً ، لأنه مجرد شعور نفسي يتم في حال الفناء في الله، وبناء علي ذلك فقول الحلاج بالحلول ثمرة وجد صوفي لا غير، أي نطقه بالحلول كان نتيجة الفناء، وهذا أمر لا إرادة فيه (٤) .
وتلك محاولة من التفتازاني" أن يبرئ " الحلاج" من قوله بالحلول، وإيجاد معاذير لأقواله والتماس تأويلات لحالته النفسية أثناء نطقه بهذه الكلمات التي أعدم بسببها ، ولعل حادي تلك المحاولة في ظني حسن الظن به، بل وإن كثيراً من المتأخرين نسج علي نفس المنوال، واقتفي ذات الأثر ، حتى جعله بعضهم " شهيد التصوف الإسلامي"، ولكن لعل ابن خلدون (٥) أصاب كبد الحقيقة حين قال: وأما الألفاظ الموهمة التي يعبرون عنها بالشطحات، ويؤاخذهم بها أهل الشرع، فاعلم أن الإنصاف في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس ، والواردات تملكهم، حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه ، فمن علم منهم فضله حمل علي القصد الجميل ، كما وقع لأبي يزيد وأمثاله، ومن لم يعلم فضله فمؤاخذ بما صدر عنه .. وأما من تكلم بمثلها وهو حاضر ولم يملكه الحال فمؤاخذ أيضاً،ولهذا أفتى الفقهاء وأكابر المتصوفة بقتل الحلاج، لأنه تكلم في حضور ، وهو مالك لحاله (٦)، ومع ذلك فإني كنت ذكرت سابقاً أن الحلاج ورد عنه الشيء وضده، لكون محله أقبل لذلك من غيره، لذا فإني أفوض أمره إلى الله، إن الله بصير بالعباد .

المطلب الرابع

موقف شيوخ بغداد النقدي من فكر الحلاج

إذا كان جمهور الصوفية المتأخرين يمجدون الحلاج، ويشيدون بذكره، لأنه كان في نظرهم – كما رأي نيكلسون (٧) ـ الشهيد الذي لقي حتفه من أجل إباحته بسر ربه، وينكرون أنه قال بالحلول، ويؤولون كلامه تأويلاً يتفق وعقيدة التوحيد الإسلامية (٨)، أو يجعلون قتله لأمور سياسية (٩)، فإنه مما لا ريب فيه أن شيوخ بغداد من الصوفية كانوا أعلم بحاله من غيرهم، يقول السلمي: " والمشايخ في أمره مختلفون، رده أكثر المشايخ، ونفوه، وأبوا أن يكون له قدم في التصوف ، وقبله من جملتهم أبو العباس بن عطاء(١٠)، وأبو عبد الله محمد بن خفيف (١)، وأبو القاسم، إبراهيم بن محمد النصر

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٢٧ .

(٢) أحمد بن تيمية الاستقامة ١/ ١١٩ ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، المدينة المنورة، ط١ سنة ١٤٠٣هـ تحقيق د/ محمد رشاد سالم ، ولا تعجب من شرح شيخ الإسلام لكلام الحلاج علي هذا الوجه ، مع قناعته التامة بكفر الحلاج، لأنه ممن يري أن الحلاج ورد عنه الشئ وضده لكون محله أقبل لذلك من غيره ، انظر المصدر السابق من نفس الموضع .

(٣) الحياة الروحية في الإسلام ص ١٤٢ .

(٤) مدخل إلي التصوف ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، وهو نفس رأي السيوطي في الحاوي للفتاوي ٢/ ١٢٣ .

(٥) هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، مؤسس علم الاجتماع ، المولود بتونس سنة ٧٣٢هـ .

(٦) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون – المقدمة ١/ ٤٧٥ ، دار القلم – بيروت ط٥ . سنة ١٩٨٤ .

(٧) سبقت ترجمته .

(٨) في التصوف الإسلامي وتاريخه ص ١٣٤، ١٣٥ ، ترجمة د/ أبو العلا عفيفي .

(٩) أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال مع أبحاث التصوف للدكتور/ عبد الحليم محمود ، ص ٢٧٦ .

(١٠) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي، من أقران الجنيد ت ٣٠٩ هـ ، انظر أبو البركات عبد الرحمن الحامي ، نفحات/ الأنس من حضرات القدس ص ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥ ، مطبوعات الأزهر الشريف سنة ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٩م .

أباذي (٢)، وأثنوا عليه (٣)، والذين نفوه من الصوفية لا شك أنهم " نسبوه إلي الزندقة في عقيدته" (٤)، وقد تنبأ " الجنيد" سيد الطائفة في القرن الثالث الهجري، بما آل الحلاج إليه من تلك القتلة الشنيعة ، فقال له مرة: " إنك فتحت في الإسلام ثغرة لا يسدها إلا رأسك" (٥)، ومر الحلاج مرة عليه فقال له: أنا الحق، فقال له الجنيد: أي خشبة تقصد، فتحقق فيه ما قال الجنيد، لأنه صلب بعد ذلك (٦) .
ومن شيوخ الصوفية من كان يلعنه مثل عمرو بن عثمان المكي، الذي كان يقول: لو قدرت عليه لقتلته بيدي ، فقيل: إيش وجد الشيخ عليه، فقال: قرأت آية من كتاب الله، فقال: يمكنني أن أؤلف مثله" (٧).
وذكر القشيري وابن عربي والشعراني أن عمرو بن عثمان المكي رأي الحسين بن منصور يكتب شيئاً، فقال: ما هذا؟ ، قال: هو ذا أعارض القرآن، فدعا عليه وهجره، قال القشيري، قال الشيوخ: إن ما حل به بعد طول المدة، كان لدعاء ذلك الشيخ عليه (٨)، وكتب عمرو بن عثمان، إلي الآفاق كتباً كثيرة يلعنه فيها ويحذر الناس منه (٩)، ومن شيوخ بغداد من كفره مثل أبي يعقوب الأقطع (١٠)، الذي زوجه ابنته – وجعفر الخلدي (١١)، حيث قالا: الحلاج كافر خبيث (١٢)، وقال أبو يعقوب الأقطع: زوجت ابنتي من الحلاج، لما رأيت من حسن طريقته، فبان لي بعد مدة يسيرة أنه ساحر محتال خبيث كافر (١٣)، وقال أبو محمد الجريري (١٤):هذا كافر يقتل (١٥)،وعرض علي الشبلي(١٦) بعض ما كتب فقال:من يقول هذا يمنع (١٧)، وتكلم النهرجوري (١٨)، فيه وقال: إنه مخدوم من الجن (١٩)، وقال عنه إبراهيم بن شيبان (٢٠): من أراد أن ينظر إلي ثمرات الدعاوي الفاسدة فلينظر إلي الحلاج وإلي ما صار إليه (٢١)، وإن ذلك الموقف المتشدد ضد الفكر الحلاجي ما كان من شيوخ بغداد المعاصرين فحسب، وإنما ظل علي تواص وتواصل به بعض

---

(١) اسمه محمد بن خفيف ت ٣٧١هـ ، انظر طبقات الصوفية ص ٣٤٥ .

(٢) شيخ خراسان في وقته ت ٣٦٩ هـ ، انظر الرسالة القشيرية ص ١١٥ .

(٣) طبقات الصوفية ص ٢٣٦ . (١٠) ابن كثير البداية والنهاية ١١/ ١٣٢ .

(٥) ماسينيون، أخبار الحلاج عن الفلسفة الصوفية في الإسلام ، د/ عبد القادر محمود ص ٣٥١، دار الفكر العربي، د. ت .

(٦) الفرق بين الفرق ٢٤٧، ٢٤٨ ، وتاريخ بغداد ٨/ ١١٢ .

(٧) تاريخ بغداد ٨/ ١٢١، شذرات الذهب ٢/ ٢٥٤، البداية والنهاية ١١/ ١٤٥، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٢٩ .

(٨) الرسالة القشيرية ص ٣٤٩ ، محيي الدين ابن عربي، الفتوحات المكية ٣/ ٢٠ ، ٤١، دار إحياء التراث العربي ، لبنان، ط١ سنة ١٤١٨ هـ . ١٩٩٨م ، الطبقات الكبري للشعراني ١/ ٧٦ . (٤) تاريخ بغداد ٨/ ١١٣، والبداية والنهاية ١١/ ١٤٥ .

(١٠) كان من صوفية البصرة، ثم انتقل إلي مكة فأقام بها، وكاتب الجنيد وراسله من مكة ، انظر عبد الرحمن الجامي، نفحات الأنس من حضرات القدس ص ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨ .

(١١) هو جعفر بن محمد بن نصير، أبو محمد الخواص، بغدادي المنشأ والمولد ت ٣٤٨ هـ ، انظر طبقات السلمي ص ٣٢٦ .

(١٢) عريب بن سعد القرطبي، صلة تاريخ الطبري ص ٧٤، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت ، لبنان، د.ت .

(١٣) نفس المصدر السابق ص ٧٢ ، وتاريخ بغداد ٨/ ١٢١، وشذرات الذهب ٢/ ٢٥٤ .

(١٤) اسمه أحمد بن محمد بن الحسين، هو من علماء ومشايخ القوم ، ت ٣١٢هـ ، انظر نفحات الأنس ٤٨٦ .

(١٥) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٢٧ .

(١٦) اسمه دلف بن جحدر الشبلي، بغدادي المولد والمنشأ ، ت ٣٣٤هـ ، انظر الرسالة القشيرية ص ١٠٣ .

(١٧) تاريخ بغداد ٨/ ١٢٨ .

(١٨) اسمه إسحاق بن محمد، أقام بالحرم سنين كثيرة مجاوراً وبه مات سنة ٣٣٠هـ ، انظر طبقات الصوفية ص ٢٨٦ .

(١٩) تاريخ بغداد ٨/ ١٢٦ .

(٢٠) هو أبو اسحاق القرميسيني، كان شديداً علي المدعين، متمسكاً بالكتاب والسنة، ت ٣٤٨هـ ، انظر طبقات الصوفية ص ٣٠٣ .

(٢١) تاريخ بغداد ٨/ ١٢٠ .

الشيوخ الكبار السائرين علي نفس نهج الجنيد وأمثاله ، فلم يعده " الكلاباذي" [١] في التعرف ضمن رجال الصوفية، لا فيمن نطق بعلومهم وعبر عن مواجيدهم، ولا فيمن نشر علومهم كتباً ورسائل، ولا فيمن صنف في المعاملات [٢]،وكذلك أغفل ذكره "القشيري" في شيوخ الصوفية الذين عددهم في رسالته[٣]، أما "أحمد الرفاعي" [٤]، فقد أخطأ صاحب الفلسفة الصوفية [٥]، حين عده من الصوفية الذين توقفوا عن إبداء رأيهم في الحلاج، لأنه قال في البرهان المؤيد: " ينقلون عن الحلاج أنه قال: أنا الحق، أخطأ بوهمه، لو كان علي الحق ما قال أنا الحق، يذكرون له شعراً يوهم الوحدة، كل ذلك ومثله باطل، ما أراه رجلاً واصلاً أبداً، ما أراه شرب، ما أراه حضر، ما أراه سمع رنة أو طنينا، فأخذه الوهم من حال إلي حال" [٦]، وقال أيضاً:لو كنت في زمن الحلاج لأفتيت مع من أفتي بقتله إذا صح الخبر،ولقنعت منه بالتوبة والرجوع إلي الله[٧]، ولا تتعجب من مواقف بعض الصوفية من الحلاج، إذ أنهم كانوا أصحاب عقيدة سليمة .

وقد بات من المعلوم لدي كافة المنصفين من العلماء سلفاً وخلفاً، صحة اعتقاد شيوخ التصوف، ورجاله المحققين، لأن طريقهم ـ في الأصل ـ مبني علي اتباع الأحسن أبداً، فمن العقائد علي اتباع السلف، ومن الأحكام علي الفقه، ومن الفضائل علي مذهب المحدثين [٨]، ويوضح تلك الحقيقة الغائبة عن البعض – الإمام القشيري [٩]، قائلاً: "اعلموا رحمكم الله أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم علي أصول صحيحة في التوحيد، صانوا بها عقائدهم عن البدع ، ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل [١٠]، ويؤيد هذا الكلام رجل كان أضبط الناس ـ في عصره ـ معرفة وبصراً بسنة رسول الله ﷺ وأقواله وأفعاله وقضاياه ووقائعه [١١]، هو " ابن تيمية" [١٢] الذي تتبع عقائد الصوفية في جل مؤلفاته بالنقد تارة وبالثناء أخري، ولكنه قال عن كلام القشيري السابق: " هذا كلام صحيح، فإن كلام أئمة المشايخ الذي لهم في الأمة لسان صدق، كانوا علي ما كان عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل" [١٣]، وقال في موضع آخر: " والشيوخ الأكابر الذين ذكرهم " أبو عبد الرحمن السلمي " في طبقات الصوفية، "وأبو القاسم القشيري" في الرسالة، كانوا علي مذهب أهل السنة والجماعة ومذهب أهل الحديث، كالفضيل بن عياض [١٤]، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري [١]، وعمرو بن عثمان المكي، وأبي عبد الله بن خفيف الشيرازي وغيرهم [٢] .

([١]) هو محمد بن إبراهيم بن يعقوب الملقب بتاج الدين، من حفاظ الحديث ت ٣٨٠ هـ ، انظر مقدمة كتابه التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٨ – المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ط ٣ سنة ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، تحقيق/ محمود أمين النواوي .

([٢]) انظر من المصدر السابق ص ٣٤ : ٤٤ .

([٣]) انظر الرسالة القشيرية ص ٦٣: ١١٥ .

([٤]) هو أحمد بن أبي الحسين الرفاعي، سكن بأم عبيدة بأرض البطائح بالعراق إلي أن مات بها، انتهت إليه الرياسة في علوم الطريق وشرح أحوال القوم ت ٥٧٨هـ ، انظر الطبقات الكبري للشعراني ١/ ١٢١ .

([٥]) د/ عبد القادر محمود، الفلسفة الصوفية في الإسلام ص ٣٥٣ ، دار الفكر العربي، د.ت .

([٦]) أحمد الرفاعي، البرهان المؤيد ص ٣٦ ، دار الكتاب النفيس – بيروت، ط١ سنة ١٩٠٨م .تحقيق/ عبد الغني نكه مي .

([٧]) الرسائل الصوفية، رسالة الشيخ أحمد الرفاعي إلي الشيخ عبد السميع الهاشمي ، الرسالة الأولي، ص ١١، المطبعة السلفية، القاهرة ، سنة ١٣٥٦هـ .

([٨]) أحمد زروق ، شرح حكم ابن عطاء الله ص ٢٩، تحقيق د/ عبد الحليم محمود، د/ محمود بن الشريف ، مكتبة النجاح ، ليبيا، د.ت .

([٩]) سبقت ترجمته .

([١٠]) الرسالة القشيرية ص ٢٢ .

([١١]) الحافظ أبو حفص عمر بن علي البزار، الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ص ٢١، تحقيق/ زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣ ، سنة ١٤٠٠هـ .

([١٢]) المتوفي سنة ٧٢٨ هـ ، وينظر المصدر السابق في سيرته .

([١٣]) الإمام أحمد بن تيمية ، الاستقامة ١/ ٩١.

([١٤]) هو الفضيل بن عياض بن مسعود ، خراساني الأصل، من ناحية مرو، ت ١٨٧هـ ، انظر أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٨/ ٨٤، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط٤ ، سنة ١٤٠٥ هـ .

وأن الشيوخ الأكابر كانوا علي مذهب أهل السنة، لأن كلامهم يدورحول التسليم والتفويض،والتبري من النفس،والتوحيد بالخلق والمشيئة،قال بذلك " الإسفراييني" (٣)، و" البغدادي" (٤)، أما بدعة حلول الله في الأجسام فكم حذر أئمة القوم من ضلال هذه المقولة – كما رأي ذلك ابن تيمية (٥) والسيوطي (٦) وبينوا فسادها، ولننقل نصا "لابن تيمية" فرق فيه بين مشايخ التصوف الحقيقيين،وبين الحلولية فيهم، يقـول: " وأئمة الهدي الذين جعل الله – تعالي- لهم لسان صدق في الأمة مثل سعيد بن المسيب (٧)، والحسن البصري (٨)، وعمر بن عبد العزيز (٩)، ومالك بن أنس (١٠)، والأوزاعي (١١)، وإبراهيم بن أدهم (١٢)، وسفيان الثوري (١٣)، والفضيل بن عياض (١٤)، ومعروف الكرخي (١٥)، والشافعي (١٦)، وأبي سليمان (١٧)، وأحمد بن حنبل (١٨)، وبشر الحافي (١٩)، وعبد الله بن المبارك (٢٠)، وشقيق البلخي (٢١)، ومن لا يحصي كثرة، إلي مثل المتأخرين مثل الجنيد بن محمد القواريري (٢٢)، وسهل بن عبد الله التستري (٢٣)، وعمرو بن عثمان

---

(١) أحد أئمة القوم ولم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع ت ٢٨٣هـ ، انظر الرسالة القشيرية ص ٧٧ .

(٢) أحمد بن تيمية، الصفدية ١/ ٢٦٧، تحقيق/ محمد رشاد سالم، دار الفضيلة ، الرياض ، سنة ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .

(٣) هو الأستاذ شهفور بن طاهر بن محمد الاسفراييني ، أبو المظفر ، الفقيه ، الأصولي ، المتكلم ت ٤٧١هـ ، انظر، السبكي ، طبقات الشافعية ٥/ ١١، هجر للطباعة والنشر ، ط٢ سنة ١٤١٣هـ ، تحقيق د / محمود الطناحي ، د/ محمد الحلو .

(٤) التبصير في الدين ص ١٩٢، وأصول الدين لأبي منصور البغدادي ، ص ٣١٥ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان ط٣ سنة ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

(٥) العقيدة الأصفهانية ص ١٧٤ – مكتبة الرشد – الرياض – ط١ سنة ١٤١٥هـ – تحقيق / إبراهيم سعيداوي .

(٦) الحاوي للفتاوي ٢/ ١٢٣ .

(٧) هو سعيد بن المسيب بن حزن، أفقه أهل الحجاز ، توفي بالمدينة سنة ٩٤هـ ، انظر ابن قتيبة ، المعارف ص ٤٣٧، دار المعارف – القاهرة ، تحقيق د/ ثروت عكاشه ، د. ت .

(٨) هو الحسن بن أبي الحسن واسم أبيه يسار ، من زهاد البصرة وشيوخها ت ١١٠ هـ ، انظر للإستزادة ، المصدر السابق ص ٤٤٠، ٤٤١ .

(٩) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، أحد خلفاء بني أمية، وكان زاهداً ورعا ، ت ١٠١هـ ، انظر سيرة عمر بن عبد العزيز لأبي محمد عبد الله بن عبد الحكم ، عالم الكتب بيروت – لبنان، ط٦ سنة ١٤٠٤هـ – ١٩٨٢، تحقيق / أحمد عبيد .

(١٠) هو مالك بن أنس بن مالك ، إمام دار الهجرة ، والمذهب المالكي ت ١٧٩ هـ ودفن بالبقيع ، انظر المعارف ص ٤٩٩ .

(١١) هو عبد الرحمن بن عمر، إمام أهل الشام وفقيههم وعالمهم ت ١٥٧هـ ، انظر تاريخ الإسلامي للذهبي ٩/ ٤٩٨ .

(١٢) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور ، الزاهد، ت ١٦٢هـ ، انظر نفس المصدر السابق ١٠/ ٤٣ وما بعدها .

(١٣) هو سفيان بن سعيد بن مسروق ويكني أبا عبد الله ، مات بالبصرة ، سنة ١٦١هـ. راجع المعارف لابن قتيبة ص ٤٩٧ .

(١٤) سبقت ترجمته .

(١٥) هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي من كبار الصوفية ت ٢٠٠ وقيل ٢٠١هـ ، انظر الرسالة القشيرية ص ٦٧ .

(١٦) هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي صاحب مذهب الشافعية ت ٢٠٤هـ .

(١٧) هو أبو سليمان الداراني من كبار الصوفية مات ٢١٥هـ ، انظر الرسالة القشيرية ص ٧٩ .

(١٨) هو إمام أهل السنة والجماعة أبو عبد الله ت ٢٤١هـ .

(١٩) أصله من مرو وسكن بغداد وتوفي بها سنة ٢٢٧هـ ، انظر الرسالة القشيرية ص ٧٠ .

(٢٠) يكني أبا عبد الرحمن من أهل مرو من كبار الصلحاء والزهاد والعباد، ت ١٨١هـ ، انظر المعارف ص ٥١١ .

(٢١) هو أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي ، من مشايخ خراسان ، انظر عنه الرسالة القشيرية ص ٧٤: ٧٦ .

(٢٢) سبقت ترجمته . (٦١) سبقت ترجمته .

المكي (١)، ومن بعدهم، إلي أبي طالب المكي (٢)، إلي مثل الشيخ عبد القادر الجيلاني (٣)، وأمثال هؤلاء المشايخ الذين كانوا بالحجاز والشام والعراق ومصر والمغرب وخراسان من الأولين والآخرين، كل هؤلاء متفقون علي تكفير هؤلاء (أي من قال بالحلول) وإن الله – سبحانه – ليس هو خلقه ولا جزأ من خلقه، ولا صفة لخلقه ، بل هو سبحانه مميز بنفسه المقدسة ، بائن بذاته المعظمة عن مخلوقاته، وبذلك جاءت الكتب الأربعة الإلهية من التوراة والإنجيل والزبور والقرآن ، وعليه فطر الله عباده ، ودلت عليه العقول (٤) .

وقد رد " ابن القيم " (٥) علي الجهمية في مواطن عديدة من مصنفاته، ولكنه في مصنفه " اجتماع الجيوش الإسلامية علي غزو المعطلة والجهمية" لم ينس جيش الزهاد وأكابر الصوفية في الوقوف ضد هؤلاء ، فذكر لنا أقوال أئمة الزهاد والصوفية في أوقاتهم مثل مالك بن دينار (٦)، وبشر الحافي (٧)، وذي النون المصري (٨)،وأبي طالب المكي (٩)،وعبد القادر الجيلاني (١٠)، وأبي عبد الله بن خفيف الشيرازي (١١)، وأبي إسماعيل عبد الله الهروي (١٢)، والمحاسبي (١٣)، وغيرهم، مستشهداً بأقوالهم في بيان ما اجتمعت عليه الأمة من السنن ، وأن خلافها بدعة ، أورد ابن القيم تلك الشواهد المتعددة التي يدلل بها علي أن شيوخ القوم لم يكونوا من الحلولية، بل كانوا في معسكر أهل السنة – في باب " أقوال الزهاد والصوفية أهل الاتباع وسلفهم (١٤) " .

ولولا خوف الإطالة لذكرت جميع تلك الأقوال، ولكني سأكتفي منها بقولين:

١ ـ قال الحارث المحاسبي:وأما قوله تعالي:﴿ ✁✌✍❷✉◆❸✎✌◆ ... ﴾ (سورة طه،الآية:٥)، وقوله ﴿ ... ﴾ (سورة الأنعام،الآية:١٨) وقوله: ﴿ ... ﴾" (سورة الملك،الآية:١٦) وقوله: ژﭺﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ژ ژ سورة الإسراء، الآية : ٤٢ ، فهذه وغيرها توجب أنه فوق العرش، فوق الأشياء كلها، متنزه عن الدخول في خلقه، لا يخفي عليه منهم خافية (١٥) .

٢ ـ وقال معمر بن أحمد الأصبهاني شيخ الصوفية أواخر المائة الرابعة:أحببت أن أوصي أصحابي، بوصية من السنة وموعظة من الحكمة،وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين، قال فيها: وإن الله استوي علي عرشه، بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، والاستواء معقول، والكيف

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) هو محمد بن علي بن عطية ، صاحب قوت القلوب ت ٣٨٦هـ ، انظر نفحات الأنس ص ٤١٠، ٤١١ .

(٣) هو عبد القادر بن موسي بن عبد الله ت ٥٦١هـ ، انظر عنه الطبقات الكبري للشعراني ١/ ١٠٨، ١٠٩ .

(٤) أحمد بن تيمية – مجموعة الرسائل والمسائل ١/ ١٨٦ ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط١ سنة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

(٥) هو شمس الدين ، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية الحنبلي، كان واسع العلم، جرئ الجنان ، عارفا بالخلاف ، ومذاهب السلف ت ٧٥٥هـ ، انظر ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٥/ ١٣٨ ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، ط٢ سنة ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م ، تحقيق د/ محمد عبد المعيد ضان .

(٦) الزاهد ، الذي كان لشهوات الدنيا تاركاً ، وللنفس عن غلبتها مالكاً ت ١٢٣هـ وقيل غير ذلك ، انظر الحلية ٢/ ٣٥٧ .

(٧) سبقت ترجمته .

(٨) هو ذو النون بن إبراهيم المصري، ت ٢٤٥هـ ، انظر طبقات الصوفية ص ٢٧ .

(٩) سبقت ترجمته . (٦) سبقت ترجمته .

(١١) سبقت ترجمته .

(١٢) هو عبد الله بن محمد بن علي بن جعفر، أبو إسماعيل الأنصاري ، الهروي، الحنبلي، ت ٤٨١هـ ، انظر نفحات الأنس ص ٤ هامش (ب) .

(١٣) هو أبو عبدالله ، الحارث بن أسد المحاسبي، مات ببغداد سنة ٢٤٣هـ ، انظر الرسالة القشيرية ص ٧٢ .

(١٤) شمس الدين ابن قيم الجوزية ، اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٦٩ : ١٧٧ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ سنة ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .

(١٥) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص ١٧٢ .

مجهول، وأنه – ﷺ- بائن من خلقه، والخلق بائنون منه، بلا حلول ولا ممازجة ، ولا اختلاط ولا ملاصقة [١] .
وهذا يوضح أن المشايخ الذين يقتدي بهم في الدين ، متفقون في أصول الديانة علي ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ، من أن الخالق – سبحانه مباين للمخلوقات، وأنه علي عرشه استوي، فلا هو في الخلق، ولا هم فيه، وكيف يحل القديم في الحادث، والقادر في العاجز، والذي ليس كمثله شئ في الذي له مثل ونظير وشبيه وند، كيف يحل الباقي في الفاني، والذي وسع كرسيه السموات والأرض في الذي لا يملك شيئاً في السموات والأرض، تعالي ربي عما يقول الظالمون علواً كبيراً، وتنزه شيوخ التصوف أن يفتروا علي الله كذباً .

المطلب الخامس

نقد عقيدة الحلول في فكر أئمة التصوف

بعد أن بينا نقاء عقيدة الشيوخ الكبار وصفاء عبادتهم، وذلك بشهادة أقطاب أئمة السلفية مثل ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، بقي أن نوضح إعلان براءتهم – كذلك – ممن يقول بفكرة تناقض عقيدتهم المستقيمة، ولا شك أن الخبل الواضح في فكرة الحلول، حلول الله عز وجل في العنصر الإنساني، يتنافي تنافياً كاملاً مع التوحيد الذي جاء به رسل الله جميعاً، لذلك فهي عقيدة باطلة شرعاً وعقلاً ، وقد وضح أئمة التصوف بطلانها – كما يلي - :

نقد الطوسي والهجويري والسلمي :

سابق الصوفية قاطبة في نقد مذهب الحلولية من الصوفية كتابة وتأليفاً هو بلا شك " الطوسي"، انتقد زعمهم بشدة وعنف، بالدلائل والبراهين، العقلية والنقلية، وهم غالطون في نظره، بل هم ضلال وكفرة، يقول الشيخ: " بلغني أن جماعة من الحلولية زعموا أن الحق – تعالي- ذكره – اصطفي أجساماً ، حل فيها بمعاني الربوبية، وأزال عنها معاني البشرية، فإن صح عن أحد أنه قال هذه المقالة فقد غلط في ذلك، وذهب عليه أن الشئ في الشئ مجانس للشئ الذي حل فيه [٢]، وهنا يقرر دليلاً علي بطلان الحلول، وهو أن الحال لابد أن يكون مجانساً للشئ يعني للمحل الذي حل فيه ، وهل هناك تجانس بين الله وخلقه، حتى يصح حلوله – تعالي – في ذواتهم ؟! الله – تعالي- (بائن من الأشياء، والأشياء بائنة منه بصفاتها) [٣]، فأوصاف الحق ، تختلف عن صفات الخلق، وصدق الطوسي حينما قال: " والله – تعالي- موصوف بما وصف به نفسه: ﴿ ✋◉⬧⑩✂ ... ﴾ [٤](سورة الشوري،الآية:١١) ، وهذا هو السبب – في غلط من غلط بهذه المقالة السوء، غلط لأنه غفل عن الفروق التي بين الله – تعالي- وعباده " والذي غلط في الحلول غلط ، لأنه لم يحسن أن يميز بين أوصاف الحق وبين أوصاف الخلق، لأن الله – تعالي- لا يحل في القلوب، وإنما يحل في القلوب الإيمان به ، والتصديق له، والتوحيد والمعرفة، وهذه أوصاف مصنوعاته من جهة صنع الله بهم، لا هو بذاته أو بصفاته يحل فيهم، تعالي الله عن ذلك علواً كبيراً " [٥] .
ثم حكم بالحكم الشرعي علي الحلولية، وعلي كل من اجترأ علي هذه المقولة الفاسدة قائلاً: " فمن صح عنه شئ من هذه المقولات فهو ضال بإجماع الأمة ، كافر يلزمه الكفر فيما أشار إليه" [٦] .
وقد لعنهم " الهجويري" قائلاً" وأما الحلولية، لعنهم الله ، قال تعالي ﴿ ... ﴾ (سورة يونس، الآية: ٣٢)، وهم عنده من الطوائف المطرودة [٧] التي تنتمي إلي هذه الطائفة، بل قال: " كل قائل مقالة تخالف التوحيد والتحقيق، ليس له من الدين أي نصيب، وحين يكون أصل الدين غير مستحكم ، فالأولي أن يكون التصوف – وهو نتيجة وفرع – مختلا ، لأن إظهار الكرامات، وكشف الآيات، لا يكون إلا علي أهل الدين والتوحيد [٨]، ولما كان أصل كلام الحلوليين بعامة مبنياً علي قاعدة أن الروح قديمة ويسمونها روح الإله الذي لم يزل، وهي تنتقل من شخص إلي شخص، ويعبدونها، أفاض بالكلام عن الروح وماهيتها ، وبين فساد أدلتهم .

---

(١) نفس المصدر ص ١٧٤، وانظر لابن قيم، الصواعق المرسلة علي الجهمية والمعطلة ٤/ ١٢٩٠ – دار العاصمة – الرياض – ط٣، سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م – تحقيق د/ علي بن محمد الدخيل، وانظر لابن تيمية، الاستقامة ١/ ١٦٨، وله أيضاً مجموعة الفتاوي ٥/ ٤١، وكذلك درء التعارض ٦/ ٢٥٦ .

(٢) اللمع ص ٣٧٨ .

(٣) نفس المصدر والموضع .

(٤) نفس المصدر والموضع .

(٥) نفس المصدر والموضع .

(٣) نفس المصدر والموضع .

(٧) كشف المحجوب ٢/ ٥٠١ .

(٥) نفس المصدر والموضع .

أما السلمي [1] فإنه عقد فصلا في الرد علي القائلين بالحلول، وهو ينفي وجود حلولي واحد من بين شيوخ القوم الكبار الذين يشار إليهم بالبنان، ويقتدي بهم في الأقوال والأفعال، وتلك عبارته التي بدأها بصيغة النفي يقول فيها: " ما قال بالحلول أحد من أئمة القوم ومشايخهم ومن يرجع منهم إلي دين" [2] ثم نقل لنا بعض أقوال الشيوخ استدلالاً بها علي ما رأي، فنقل كلام " الجنيد" سيد القوم، الذي يقول: اعلموا – رحمكم الله – أن الحق سبحانه – لا يوصف بالحلول في الأمكنة، ولا ينعت بمرور الأزمنة ، كان الحق – تعالي- ولا شئ موجود، ولا شخص معبود، فكيف يصير بحالة كان في الأزل عنها غنياً، وكيف ينتقل بانتقال الفناء ـ جل وتعالي ـ أن يوصف بشئ من هذه العلل [3]، وكلام ذي النون المصري [4]: الحلول لا يلحق الأغيار المخترعة والهياكل المبتدعة، وكيف يحوي الحق مكان أو يضمه أوان، ولا مكان ، ولا أوان ، ولا زمان – جل وتعالي- عن ذلك [5]، إلي آخر ما نقل السلمي من أقوال تدل علي أن عقيدة الحلول لم تكن عقيدة لأئمة القوم يوماً ما ، وإنما أطلق هذا القول قوم ليس لهم في التصوف قدم ، ولا لهم مع مشايخهم ذكر [6].

نقـــد الغزالـــي:

لكي يثبت الغزالي بطلان فكرة الحلول ، ويخر بالسقف علي أصحابها من فوقهم، اعتمد علي ما يقرره العقل ، لأن العقل الصريح السليم، كالميزان مع الكتاب والسنة، ويستحيل في نظر العقل حلول رب في عبد ، أو خالق في مخلوق، يقول: "المفهوم من الحلول أمران: أحدهما: النسبة التي بين الجسم وبين مكانه الذي يكون فيه، وذلك لا يكون إلا بين جسمين، فالبرئ من الجسمية يستحيل في حقه ذلك، والثاني: النسبة التي بين العرض والجوهر [7]، فإن العرض يكون قوامه بالجوهر، فقد يعبر عنه بأنه حال فيه، وذلك محال علي كل ما قوامه بنفسه، فدع عنك ذكر الرب – تعالي وتقدس ـ في ذلك المعرض، فإن كل ما قوامه بنفسه يستحيل أن يحل فيما بنفسه إلا بطريق المجاورة الواقعة بين الأجسام، فلا يتصور الحلول بين عبدين، فكيف يتصور بين العبد والرب" [8]، علي الرغم من أن العبد عبد ، والرب رب!!!؟ هذا بصفاته الحادثة، وذلك بصفاته القديمة، هذا محال في طور العقل،ومن صدق بمثل هذا المحال فقد " انخلع عن غريزة العقل" [9]، " ومن لم يفرق بين ما أحاله العقل وبين ما لا يناله العقل، فهو أخس من أن يخاطب، فيترك وجهله [10]،وإذا قال قائل: إن كلمات الصوفية بناء علي مشاهدات، انفتحت لهم في طور الولاية، والعقل يقصر عن درك ذلك ، قال الغزالي: " اعلم أنه لا يجوز أن يظهر في طور الولاية ما يقضي العقل باستحالته " [11] .

ومع شدة إنكار الغزالي لعقيدة الحلول، لأن العقل يقضي باستحالتها ، غير أنه في مصنفه " مشكاة الأنوار" كان أكثر تسامحاً مع أرباب الحلول من الصوفية، وإن لم أجده صرح بذكر واحد منهم باسمه، مكتفياً بذكر أقوالهم، مؤولاً إياها أنهم قالوها في حالة سكر وفناء ، بل فناء الفناء، وكلام السكران يطوي ولا يحكي [12]، ومن ثم أنكر البعض [13] نسبة الكتاب له، أو مطعم بآراء ليست له، ولا شك أن حسن ظن الغزالي، هو الذي برر اعتذاره عن شطحات الصوفية، علي أساس أن ما يقولونه ليس هو الحقيقة، أما إذا كانوا يؤكدون أن ما يقولونه هو الحقيقة، فكل ما يقولونه عن الحلول، والاتحاد، والاتصال، فهو غير صحيح ، بل هو باطل، والمسألة في نظر الغزالي مجرد استغراقات، وهو نوع من

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) أصول الملامتية وغلطات الصوفية ص ١٩٨ .

(٣) نفس المصدر ص ١٩٩ .

(٤) سبقت ترجمته .

(٥) أصول الملامتية وغلطات الصوفية ص ١٩٩ .

(٦) عينه من ذات الموضع .

(٧) العرض هو الموجود الذي يحتاج في وجوده إلي موضع، أي محل يقوم به، والجوهر هو ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع، انظر الشريف الجرجاني، التعريفات ص ٧٠ ، ١٢٩ .

(٨) أبو حامد الغزالي، المقصد الأسني في شرح معاني أسماء الله الحسني١ / ١٥٥ ، تحقيق/ بسام عبد الوهاب الجابي، دار النشر: الجفان والجابي – قبرص، ط١ سنة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧ م .

(٩) نفس المصدر ١/ ١٥٦ .

(١٠) نفس المصدر والموضع .

(١١) نفس المصدر والموضع .

(١٢) أبو حامد الغزالي، مشكاة الأنوار ص ٥٧ – ٥٨ ، تحقيق د/ أبو العلا عفيفي، الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٣٨٢هـ – ١٩٦٤م .

(١٣) انظر د/ محمود قاسم – دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ٨٥ ، هامش (١)، دار المعارف بمصر ، ط٣ سنة ١٩٧٠م .

القرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول، وطائفة الاتصال، وكل ذلك خطأ" (١) وهو غلط محض، يضاهي من يحكم علي المرآة بصورة الحمرة، إذ ظهر فيها لون الحمرة مقابلها (٢) .

نقـد الشعــراني:

ألف الشعراني في علم العقائد مصنفاً بعنوان " اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر" ، جلي فيه عقيدة شيوخ الصوفية وبين مطابقتها للكتاب والسنة، وفي خضم حديثه عن جملة من القواعد والضوابط التي يحتاج إليها من يريد التبحر في علم الكلام، عقد مبحثاً في وجوب اعتقاد أنه تعالي لم يحدث بابتداعه العالم في ذاته حادث، وأنه لا حلول ولا اتحاد، قال:"إذ القول بذلك يؤدي إلي أنه في أجواف السباع والحشرات والوحوش ، وتعالي الله عن ذلك علواً كبيراً" (٣) ثم قال مدافعاً عن الصوفية بعقد مقارنة بين الدعوي المنسوبة إليهم وبين ما قال عباد الأصنام عـن سبب توجههم إليهـا بالعبـادة " ولعمري إذا كان عباد الأوثان لم يتجرءوا علي أن يجعلوا آلهتهم عين الله تعالي، بل قالوا ژ ک ک گ گ گ گ گ ژ سورة الزمر، الآية : ٣ ، فكيف يظن بأولياء الله – تعالي- أنهم يدعون الاتحاد بالحق هذا كالمحال في حقهم" (٤) أي شيوخهم الكبار المشهود لهم بالخير والصلاح وحسن الاعتقاد والمتابعة، ولا أعتقد أن الشعراني يقصد جميع الطائفة بقوله هذا .

الاتحاد الصحيح :

ولعل الشعراني من الصوفية القائلين أن الاتحاد في كلام القوم يعني: أن تتحد أعمال العبد علي الوجه الذي أراده الرب ، لأنه نقل لنا كلام شيخه " علي بن وفا" (٥) الذي يقول فيه: المراد بالاتحاد حيث جاء في كلام القوم، فناء مراد العبد في مراد الحق – تعالي- كما يقال بين فلان وفلان اتحاد، إذا عمل كل منهما بمراد صاحبه، ثم أنشد :

وعلمك أن كل الأمر أمري .. هو المعني المسمي باتحاد (٦)

ابن القيم يحكم بصحة هذا النوع من الاتحاد:

ويصحح ابن القيم في عدد من مؤلفاته ذلك النوع من الاتحاد، ويري أنه هو الاتحاد المطلوب من العباد ، لأنه اتحاد المحبين ، وفناء المقربين، يقول: وإن كان العبد مشمراً للفناء العالي، وهو الفناء عن إرادة السوي، لم يبق في قلبه مراد يزاحم مراده الديني الشرعي النبوي القرآني ، بل يتحد المرادان فيصير عين مراد الرب هو مراد العبد، وهذا حقيقة المحبة الخالصة، وفيها يكون الاتحاد الصحيح، وهو الاتحاد في المراد لا في المريد (٧)، وفي موضع آخر يقول: " وليس في العقل اتحاد صحيح إلا هذا ... فغاية المحبة اتحاد مراد المحب بمراد المحبوب، وفناء إرادة المحب في مراد المحبوب، فهذا الاتحاد والفناء هو اتحاد خواص المحبين وفناؤهم، فنوا بعبادة محبوبهم عن عبادة ما سواه، وبحبه وخوفه ورجائه والتوكل عليه والاستعانة به والطلب منه، عن حب ما سواه وخوفه ورجائه والتوكل عليه " (٨) فهو عبادة القلب لله ﷻوحده، وذي علامات القلب السليم الذي قال الله فيه ژ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ژ (سورة الشعراء : ٨٩) ، فهو سليم من الاطمئنان لأي مخلوق إلا لفاطره وخالقه .

وأخيراً: وما كان نقد عقيدة الحلول الضالة خافياً علي حاملي راية التصوف في العصر الحديث ، الذابين عن الدخيل فيه، والجهالات والخرافات والفلسفات والمنكرات التي وقع فيها طوائف متاجرة باسم التصوف والدين، فهذا هو شيخ مشايخ الطرق الصوفية الأسبق " حسن الشناوي" يقول حول قول الله – تعالي- ژ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ژ سورة الحديد ،الآية:٤، وقوله ژ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ژ سورة التوبة، الآية:٤٠: الله يكون معي لكن لا يحل في ، لماذا؟ لأن الله له وضع آخر يخالف الأحداث، ويخالف الأشياء المعروفة، ربنا قديم أزلاً قبل كل شئ ، وسيبقي بعد كل شئ ، وهذه خاصية له فقط ، أما الإنسان

---

(١) أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال ص ١٢٨ ، وانظر د/ عبد القادر محمود – الفلسفة الصوفية في الإسلام ص ٢٣٤ .

(٢) أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ٢/ ٢٩١ .

(٣) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر ١/ ٦٣ . (٤) نفس المصدر ١/ ٦٥ .

(٥) هو علي بن محمد بن وفا من صوفية مصر ت ٨٠١هـ ، انظر الطبقات الكبري للشعراني ٢/ ٢٠ ،٢١ .

(٦) اليواقيت والجواهر ١/ ٦٥ .

(٧) ابن قيم الجوزيه ، مدارج السالكين ١/ ٤٦٨ ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط٢ سنة ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م، تحقيق / محمد حامد الفقي .

(٨) نفس المصدر ١/ ١٦٧ ، وجلي ابن القيم رأيه ذلك في غير مصنف من مصنفاته مثل طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٥٦ دار ابن القيم – الدمام ، ط٢ سنة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م – تحقيق عمر بن محمود أبو عمر، وكذلك روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص ٢٦٥، دار الكتب العلمية – بيروت – سنة ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

والحيوان والجماد فله مبدأ وله نهاية [١]، ورضي " محمد زكي إبراهيم" رائد العشيرة المحمدية – الشك وسوء الظن في بعض الصوفية القائلين بالحلول ، لوضع حد للجدال والمناقشات، وللتفرغ للعقبات الأخرى التي وراء تقدم الأمة ونهوضها.

يقول: وقد أرضي مؤقتاً أن أسلم جدلاً بسوء الظن بهؤلاء الأئمة لوضع حد للمهاترة حولهم بلا مبرر مقبول، أليس من الخير كل الخير أن نسلم أمرهم إلي الله، لنفرغ لما هو أهدي وأجدي؟! .

إن هؤلاء ليسوا كل الصوفية، ولا هم أكثرية الصوفية، ولا هم الدعاة لا غيرهم من الصوفية، وقد انتهوا وأصبح فكرهم تاريخاً وثقافة ليست من العقائد، فهل من الإنصاف أخذ الخلف بما جني السلف، الذي لم يعد له به صلة؟!، بل لقد أذهب إلي أكثر من ذلك، أذهب إلي إسقاط حساب هؤلاء القلة من المحيط الصوفي" [٢] .

---

(١) حسن الشناوي ، حول قضايا التصوف ص ٤٧ ، مجلة التصوف الإسلامي ، السنة (٢٢) ، عدد (١) سنة ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م .

(٢) مجلة العشيرة المحمدية – المسلم ص ٢٧ باختصار ، السنة ٤٩، عدد (١) سنة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

الخاتمة وتتضمن أهم النتائج والتوصيات

بعد هذا الجهد المتواضع والتطواف الممتع حول موضوع النقد الذاتي للتصوف لدي شيوخ التصوف، يخلص البحث إلي النتائج التالية :-

١- أشار البحث إلي أن هناك شيوخاً في التصوف لهم جهود لا تغمط في الإنكار علي الخارجين من الصوفية عن سنن التصوف الصحيح ، المضبوط عندهم في بوتقة الكتاب والسنة، فقاموا بواجب النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
٢- أفصح البحث أن ناقدي التصوف – من أهله – وإن كانوا أقلة إلا أنهم متنوعون عصراً ومصراً وطريقة وفكراً وعلماً وعملاً وسلوكاً، ولكن جمعهم حب التصوف والغيرة عليه، والمعذرة إلي الله يوم القيامة ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮊ سورة الأعراف (الآية : ١٦٤) .
٣- يلزم البحث العقلاء من الناس ألا يحكموا علي الصوفية بحكم واحد، إيجاباً أو سلباً، مدحاً أو قدحاً، حباً أو ذماً، وإنما الواجب الشرعي يحتم أن نحكم علي كل حالة بما يناسبها، علي حسب قربها أو قرب القائل بها من الشريعة أو البعد عنها، لأن من شيوخ التصوف ممن لم يرتضوا بأقوال، ولم يوافقوا علي أفعال .
٤- أثبت البحث أن شيوخ التصوف – علي اختلاف عصورهم – انتقدوا الكثير من الأمور علي المتصوفة ، وشنوا حرباً شعواء علي أصحابها، مثل فتنة السماع والرقص والاختراع من الأشعار الغزلية والاجتماع عليها، وعناية بعضهم بشكليات التصوف ، وجهلهم بحقائق الدين، وازدرائهم للفقهاء والعلماء، وشطحهم وافتنانهم بأنفسهم، إلي آخر ذلك من أفعال يتلبس بعض الصوفية بها إلي اليوم ، وكانت فكرة فكرة تصحيح التصوف والنقد هي السبب في تأليفهم الكتب أحياناً، وهذا ظهر واضحاً لدي الطوسي والقشيري والغزالي والشعراني .
٥- أومأ البحث إلي أن شيوخ التصوف الكبار، كانوا علي عقيدة سليمة وعبادة صحيحة بشهادة ابن تيمية وابن قيم الجوزية – رحمهما الله - .
٦- تبرأ أكثر شيوخ بغداد من الحلاج، إذ أعلن فكرة اتحاده بالله وحلول الله – ﷻ – في عنصره البشري بل وكفره بعضهم ، وانضموا إلي صفوف الفقهاء الذين أفتوا بقتله وصلبه، ونفوض أمره إلى الله، إن الله بصير بالعباد .
٧- انتقد شيوخ التصوف قديماً وحديثاً عقيدة الحلول، وبينوا بطلانها بالدلائل الشرعية والعقلية، وأعلنوا براءتهم منها ، ولعنهم لقائليها .
٨- شارك في نقد التصوف في العصر الحديث كثيرون مثل د/ أبو الوفا التفتازاني الذي انتقد الطرق الصوفية لمبالغة أتباعها في التحدث بمناقب الأولياء وكراماتهم، ود/ محمد سعيد رمضان البوطي، ومحمد زكي إبراهيم، مما يدل علي عدم رضاء هؤلاء عن التصوف في حالته المعاصرة الراهنة، واستيائهم من كثير من أتباعه .
٩- الاتحاد الصحيح الذي يعرفه الشرع والعقل هو اتحاد أفعال العبد وفق مراد الرب جل وعلا ، فهو اتحاد في المراد لا في المريد .

وختاماً يوصي الباحث بما يلي :

١- العناية التامة بأمثال هذه البحوث من قبل الدارسين، فهي سند كبير للناس جميعاً، ينير لهم الطريق ويكشف لهم حقائق التصوف .
٢- أن نعمل جميعاً علي أن نحرر التصوف من دخنه ودخيله وبدعه وهرطقاته، وذلك من أجل الوصول إلي تربية صوفية سليمة وواقعية وعقلية .
٣- أن يواصل شيوخ التصوف المعاصرون جهود أسلافهم في مسيرة إصلاح التصوف، ونقد ما يستحق الانتقاد فيه، عسي أن تقترب الصفوف، وتأتلف الجماعات، تحقيقاً للوحدة الإسلامية . والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلي الله وسلم علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين .

وكتبه العبد الفقير إلي عفو مولاه : عبد الحافظ أحمد طه

أهم المصادر والمراجع

١- القرآن كتاب الله الخالد .
٢- ابن تيمية – الاستقامة، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١ سنة ١٤٠٣هـ - تحقيق د/ محمد رشاد سالم .
٣- ابن تيمية، مجموعة الفتاوي،دار الوفاء – المنصورة ، القاهرة ، ط١ سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، تحقيق / عامر الجزار – أنور الباز .
٤- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري – المكتبة الإسلامية – عين شمس – القاهرة ، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي .
٥- ابن خلكان ، وفيات الأعيان، دار الثقافة ، لبنان ، تحقيق / إحسان عباس، د.ت .
٦- ابن عربي، الفتوحات المكية، دار إحياء التراث العربي، ط١ سنة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .
٧- ابن عربي، روح القدس في مناصحة النفس، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٥م ، تحقيق د/ حامد طاهر .
٨- ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق، دار العلم – بيروت سنة ١٩٩٥م ، تحقيق / محب الدين بن غرامة العمري .
٩- ابن قيم الجوزية، اجتماع الجيوش الإسلامية علي غزو المعطلة والجهمية ، دار الكتب العلمية – بيروت ط١ سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
١٠- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ، تحقيق/ محمد حامد الفقي .
١١- ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر بيروت، ط١ ، د.ت .
١٢- أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط ٣ – تحقيق/ هلموت ريتر .
١٣- أبو القاسم عبد الكريم القشيري – الرسالة القشيرية – المكتبة التوفيقية – تحقيق: هاني الحاج ، د.ت .
١٤- أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال مع تعليقات وأبحاث د/ عبد الحليم محمود، دار الكتاب المصري، سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
١٥- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، د.ت .
١٦- أبو حامد الغزالي، أصناف المغرورين، مكتبة القرآن القاهرة، تحقيق/ عبد اللطيف عاشور، د.ت .
١٧- أبو عبد الرحمن السلمي، أصول الملامتية وغلطات الصوفية، مطبعة الإرشاد بمصر سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، تحقيق د/ عبد الفتاح أحمد الفاوي محمود .
١٨- أبو منصور الأزهري ، تهذيب اللغة، دار التراث العربي، بيروت ، ط١ سنة ٢٠٠١م ، تحقيق محمد عوض مرعب .
١٩- أحمد الرفاعي، البرهان المؤيد، دار الكتاب النفيس- بيروت، ط١ سنة ١٩٠٨م، تحقيق/ عبد الغني نكه مي .
٢٠- البغدادي ، الفرق بين الفرق، دار الآفاق الجديدة، بيروت ، ط٢ سنة ١٩٧٧م.
٢١- الجرجاني، التعريفات، مطبعة مصطفي البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م .
٢٢- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية – بيروت ، د.ت .
٢٣- د/ أبو الوفا التفتازاني، مدخل إلي التصوف الإسلامي ،دار الثقافة للنشر والتوزيع – مصر – ط٣، د.ت .
٢٤- د/ حسن الشافعي، فصول في التصوف الإسلامي، دار الثقافة- الفجالة بمصر سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
٢٥- د/ محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، دار السلام – مصر – ط١٩ سنة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
٢٦- د/ محمد مصطفي حلمي، الحياة الروحية في الإسلام – الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢ سنة ١٩٨٤م .
٢٧- السراج الطوسي، اللمع في تاريخ التصوف، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط١ سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م ، تحقيق/ كامل مصطفي الهنداوي .
٢٨- عبد الوهاب الشعراني ، اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، مطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأخيرة سنة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م .
٢٩- عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبري، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر، د.ت .
٣٠- عبد الوهاب الشعراني، تنبيه المغترين ، المكتبة الثقافية الدينية بمصر ، ط١ سنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م ، تحقيق د/ أحمد عبد الرحيم السايح، المستشار/ توفيق علي وهبه.
٣١- محمد بن محمد بن عمر الرازي (التحتاني) ، ذكر الفرق التي غلطت في الإباحة والحلول والاتحاد والتجسيم وبيان دعواهم والرد عليهم، دار الحسين الإسلامية – مصر ، ط٢ سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، تحقيق د/ حسن جبر شقير .

٣٢- محمد زكي إبراهيم، أبجدية التصوف الإسلامي، بعض ماله وما عليه، مطبوعات العشيرة المحمدية، ط٥، د.ت .
٣٣- الهجويري، كشف المحجوب – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة سنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م ، تحقيق د/ إسعاد قنديل .
٣٤- مجلة التصوف الإسلامي .
٣٥- مجلة المسلم ، إصدارات العشيرة المحمدية .
٣٦- مجلة المسلم المعاصر، إصدارات مؤسسة المسلم المعاصر والمعهد العالمي للفكر الإسلامي .
٣٧- مواقع علي شبكة الانترنت .
هذا بخلاف المصادر الأخرى المبثوثة في ثنايا البحث ،،،

فهــرس البحـــث